





الدكتور دُاوُدالعَظار

منشورات *موُستستهالاُعلی للمطبوعاست بعیرو*ت - بسنان ص.ب ۲۱۲۰

الطبعة الثانية حقوق الطبع محفوظة للمؤلف 1899 م ١٩٧٩ م

ب الدارحم الرحيم

إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ ٱقْوَمُ
 وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتَ
 أَنَّ لَهُمْ أُجراً كَبِيراً ،

(سدق الله العظيم)

الفومب كراره

أوصاني والدي في تحرّي ونشر الحقائق الإسلامية التي دأب الاستعار الكافر على إطفاء أنوارها وتشويه معالمها لأنها أمضى من جميع أسلحته فإلى روح والدي أهدى ثواب هذا التأليف ...

المقدمتة

القرآن هو المصدر الأول للاسلام ، وأقدس كتاب لدى المسلمين ، وخاتم الكتب السماوية ، وبه تقوم الحجة على الكتب السماوية ، وبه تثبت نبو"ة رسول الله محمد منجزة ، ولحالود ما فيه الناس جميماً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً ، لأنه ممجزة ، ولحالود ما فيه من إعجاز ، وهو المصدر الوحيد و القطمي الثبوت ، بإجماع المسلمين ، لم تمتد إليه يد التحريف أو الزيادة أو النقصان ، ومع كل ذلك لم ينل من العناية والاهتام لدى المسلمين بعض ما يستحقه !!!

ولمل أهم (الأسباب الداخلية) لانحطاط المسلمين وتأخرهم في الوقت الحاضر هو انصرافهم – بصورة مباشرة أو غير مباشرة – عن تدارس ما في القرآن من كنوز العلم والمعرفة ، والتي ما زالت بكراً حتى الآن .

وليس من سبيل إلى استعادة المجتمع الاسلامي ، واسترجاع حقوق الامة الاسلامية في الحياة الإيمانية في ظل الإسلام إلا بتدبر ما في القرآن الكريم من توجيهات عقائدية وقواعد فكرية وأحكام تشريعية ومنطلقات خلقية رفيعة ، والعمل بها .

وما نجده من دراسات للقرآن الكريم في أغلب المراكز العلمية المنتشرة في بلاد المسلمين لا تعدو أن تكون دراسات نظرية قــــد أفرغت من « حيويتها »

و (فاعليتها) في المجتمع ، فقد تكون لفرض أداء الامتحانات أو نيل درجة
 علمية في مرحلة دراسية معينة . . وهكذا .

كما أن تعبيرات الامة عن الاعتزاز والاستفادة من القرآن الكريم بلغت حداً يؤسف له ، فقد يتخذ القرآن (رمزاً) للتحرز من الشرور والأخطار .. أو يتلى في بداية الحفلات والندوات ريثا يكتمل حضور المدعوين .. أو يتلى على قبور الموتى للبركة والغفران .. وهكذا .

هـذا ، وما ورد من أن ﴿ النظر إلى المصحف عبادة » ، و ﴿ تلاوة حرف واحد منه رقي في الجنة درجة » وسائر ما ورد في فضائل القرآن الكريم ، إنما كان لبيان ما يجب أن يحتله القرآن الكريم في حياة الامة من ﴿ هيمنة » تامة على جميع صور حياتها السلوكية والتشريعية ومفاهيمها الحضارية .

وحينا كتبت هذا و الموجز ، أول مرة ، لم افكر إطلاقاً في أداء ما يلزمني الواجب الإسلامي من مسؤولية إزاء هذا القرآن الكريم ، وإنما شعرت و بعد دراسة ميدانية ، أن الجهل بالقرآن الكريم عام يشمل الكثير الكثير من عامة الناس ومتعليهم ، فأردت أن أضع و الحد الأدنى ، من المعلومات الضرورية حول القرآن الكريم بين يدي وكل مسلم » .

وبعــد صدور « الطبعة الأولى » وكانت مقررة للتدريس في « كلية أصول الدين » في بغداد لعدة سنوات ، أقبل عليها جمهور غفير من المتعلمين والمثقفين ونفدت في حينها .

ومرت فترة ، وأنا أعاني من إلحاح الطلب المتواصل ، على إعادة طبعها من جهة ، ومن متاعب ومشاغل ، لم تدع لي فرصة للنظر في « الموجز ، مجدداً ، بقصد الاضافة والتوسع فيه ، من جهة اخرى . وها أنا ذا أستسلم للطلب؛ سائلًا الله تعالى أن ينفع بهذا الموجز إخواني؛ وأن يتبح لي فرصة الكتابة من جديد؛ لعلي أوفق، مع سائر من وفقهم الله تعالى من المسلمين ؛ للتعرف على ما في القرآن الكريم ، من هداية الإنسانية المعذبة ، وسبل للسعادة في الدنيا والآخرة .

ومنه أستمد العون والرشاد

داود العطار

الكويت ١ محرم ١٣٩٩ هـ

الفصل الأول

تعريف علوم القرآن

- نؤثر أن نعرف (علوم القرآن) باعتبارين :
- الاول: باعتبارها مركبة من كلمتين.
 - الثاني : باعتبار الممنى الإفرادي لها .

المبحث الاول

علوم القرآن بالمعنى التركيبي

إن لكل من كلمة (علم) و (قرآن) دلالة لغوية ، ومعنى اصطلاحياً ، يحدر الإلمام بهما بإيجاز .

المطلب الأول العلم لغة واصطلاحاً

أولاً _ العلم لغة :

أ ــ يقال علم علماً ــ بفتحة وكسرة ــ أي حصلت له حقيقة العلم .

ب - يقال علم الشيء : أي عرفه ، وتبقيّنه ، وأدركه .

ج ـ يقال أعلمه الأمر ، وبالأمر : أي أطلمه عليه .

فيكون العلم : الحقيقة ، المعرفة ، اليقين ، الادراك . ولهذا قيل ان العلم : هو الادراك الجازم المطابق للواقع ، أو هو إدراك الشيء بجقيقته (١) .

والعلم مطلقاً هو : مطلق الأدراك الذي يشمل التصور والتصديق .

وقال الحكماء : العلم هو حصول صورة الشيء في العقل (٢) .

⁽١) الراغب ، المفردات ص ٣٤٣ .

⁽٢) الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٣٥ .

ثانياً - العلم اصطلاحاً :

تطلق كلمة العلم ويصطلح بها على أحد المعاني التالية :

أ - الموضوع ذاته : فيقال علم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم النفس ، وعلم التفسير ، وعلم الكلام وهكذا . ويراد به موضوعات هذه العلوم ، ومسائلها .

ب - ممرفة الموضوع: فيقـال: لفلان علم بموضوع النجوم، أو علم بالأنساب، أو علم بالأنواء الجوية، أي لديه إلمام ومعرفة بمسائل وقواعد هذه العلوم.

ج — القدرة على معرفة الموضوع: وهي المعرفة بالقوة ، أي القدرة على معرفة مسائل وقواعد الموضوع، وإن لم تكن حاصلة بالفعل .

وأوفق معاني هذه الاطلاقات لموضوعنا قيد البحث هو الاطلاق الأول .

المطلب الثاني

القرآن لغة واصطلاحاً

أولأ ـ القرآن لغة (١) :

أ ـ المقروء المكتوب :

يقال قرأ الرسالة قراءة وقرآناً ؛ أي نطق بالمكتوب فيها ، ومنه قوله تمالى : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » القيامة / ١٨ ويكون الاقرأ : الأفصح قراءة . كا قد يكون بمعنى إلقاء النظر على الرسالة ومطالعتها صمتاً .

⁽١) انظر تاج العروس ، مادة (قرأ) . الراغب : المفردات ، ص ٤٠٢ . الطبرسي : مجمع البيان ، ج ١ / ٥٠ . شهاب الدين القسطلاني : لطائف الاشارات ، ج ١ / ١٠ .

ب ـ الجمع :

(ويسمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها) . وقال ابن الأثير : إن الأصل في لفظة القرآن هو (الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وسمي قرآناً لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور ، بعضها إلى البعض) . وقال الراغب : (والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل . وليس يقال ذلك لكل جمع ، لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم) .

ج ـ اسم لكتاب الله تعالى :

فقد روي عن الشافعي أنه قال : (القرآن اسم وليس بمهموز لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل). وقال أبو بكر بن مجاهد المقرىء : كان أبو عمرو بن المعلاء لا يهمز القرآن. وقال الراغب : والقرآن في الأصل مصدر ، نحو كفران ورجحان.

ولعل ما ذهب اليه ابن الأثير وغيره من اللغويين، من أن الأصل في القرآن: الجمع ، هو أقرب المعاني انسجاماً ومناسبة مع واقع القرآن الكريم ، فيما ضم من الأحكام العامة وجمع (١) من القواعد الكلية ، والاسس الرئيسة للشريعـة الإسلامية الغراء .

وإنما جعل الله تعالى القرآن قانوناً أساسياً وكلياً ، باعتباره دستور الدين الكامل ، والنممة التامة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » المائدة / ٣ . فلا يوحي الله تعالى بعد القرآن كتاباً ، فكان من مقتضى لطفه سبحانه ، أن يكون كلياً إجمالياً ليسير مع تطورات الحياة

⁽١) قال بعض الحكماء تسمية هــــذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العادم ، كما أشار تعالى اليه بقوله (... وتفصيل كل شيء) وقوله : (تبياناً لكل شيء) . الراغب : المفردات ، ص ٤٠٢ .

يحكم احداثها ووقائعها ، ويشمل مناحيها ، ويستجيب لحاجاتها ومتطلباتها ، في كل الميادين ، رغم اختلاف الظروف والبيئة ، محافظاً على مقاصد الشرع الحنيف : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » النحل / ٨٩ .

وإن أقرب هذه المعاني لموضوعنا قيد البحث؛ هو كون القرآن اسماً لكتاب الله تعالى ، من حيث هو ، لا من سائر الحيثيات .

ثانياً ـ القرآن اصطلاحاً:

القرآن الكريم ، أسمى وأشهر من أن يعر"ف . ولكن جرت سنة الممنيين به أن يعر"فوه تعريفاً جامعاً مانعاً ، ومع ذلك جاءت تعاريفهم شق صياغة ، متقاربة معنى . وقالوا :

أ - (القرآن هو الكلام القائم بذات الله تعالى ، ومــا نقل الينا بين دفتي المصحف ، نقلاً متواتراً) (١) .

ب – (إن القرآن : الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً فها بين ذلك ، من أول أم القرآن الى آخر المعوذتين ، كلام الله عز وجل ، ووحيه ، أنزله على قلب نبيَّه محمد عَمَمُهُ فَيْقُونُ ، ومن كفر مجرف منه فهو كافر) (٢) .

د — (القرآن هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ والمدون بين دفتي المصحف ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختوم بسورة الناس) (٤) .

⁽١) الغزالي: المستصفى ، ج ١ / ٦٥.

⁽٢) معجم فقه ابن حزم : مجلد ٢ / ٨٣٣ .

⁽٣) أصول البزدوي ، ج ١ / ٢١ – ٢٣ .

⁽٤) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي ج ١ / ١٦٥ .

ه - (اللفظ العربي المنزل على محمد ﷺ ، المنقول إلينا بالتواتر) (١٠ .
 ويمكن القول أن القرآن الكريم هو :

وحي الله المنزل على النبي محمد ﷺ لفظاً ومعنى واسلوباً ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر .

ومن خواص هذا التمريف انه :

١ _ وحي الله :

الوحي يشمل كل ما أوحى به الله تعالى إلى رسله وأنبيائه .

٢ ـ المنزل على النبي محمد ﷺ :

قيد خرج به جميع الرسالات والأديان السابقة ، كالتوراة والانجيل والزبور، لأنها نزلت على سائر الأنبياء .

٣ ـ لفظاً ومعنى وأسلوباً :

قيد خرج به ما ثبت من الحديث القدسي ، وهو ما نزل على النبي مَيَّمَا اللهُ ولم يثب والم يُتَبَالِقُ ولم يثب نظمه في القرآن الكريم ، كما خرج بهذا القيد : التفسير، وترجمة القرآن إلى سائر اللغات ، لاختلاف الألفاظ والاسلوب وإن اتفقت المعاني . وبهذا نستغني عن إيراد قيد (العربية) الذي ذكره الشيخ شلتوت في تعريفه السابق .

٤ ـ المكتوب في المصاحف:

قيد خرج به ما أوحى الله تمالى به إلى النبي ﷺ من الأحكام ، وأداها باسلوبه الخاص ، قولاً ، مثل (صلاة الفجر ركعتان) و (صلوا كما رأيتموني أصلي) ، و (خذوا عني مناسككم) (٢) .

⁽١) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٣٩٩ .

⁽٢) أنظر : محمود أبو رية : قصة الحديث النبوي ، ص ه – ٦ .

ه ـ المنقول بالتواتر:

وبهذا القيد خرج المنقول بالشهرة ، والقراءات الشاذة ، مثل ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قوله تعالى في كفارة اليمين « . . . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . . . » المائدة / ٨٩ . بزيادة (متتابعات) . فهذه القراءة محمولة على أنها تفسير للأيام الثلاثة بكونها متتابعات (١) .

المبحث الثاني

علوم القرآن بالمعنى الإفرادي

ونقصد بها الأبحاث العلمية في القرآن الكريم . فلقد أقبل العلماء على دراسة كتاب الله المجيد بشوق وشغف وتقديس ، وكتبوا عنه أبحاثاً علمية قيمة ، غزيرة المادة ، عميمة الفائدة ، عميقة الغور ، أسموها (علوم القرآن) وإنما كانت هذه العلوم كثيرة العدد (٢) لأن المعنيين بدراسة القرآن الكريم ، قصدوا تحقيق أهداف كثيرة ، ولأنهم نظروا إلى القرآن من حيثيات مختلفة ، فمنهم من فصل هذه العلوم تفصيلا مطولا ، ومنهم من وحد وجمع بعضها مع بعض ، تحت عنوان واحد .

وفيا يلي تعريف مقتضب بأهم هذه العلوم ، نتبعه بلمحة تاريخية موجزة عن تأسيسها وعلمائها .

⁽١) الغزالي: المستصفى ، ج ١ / ١ ه .

⁽٧) ومنهم من قال أنها خمسون علماً ، وأربعائة علم ، وسبعة آلاف علم , وسبعون ألف علم (٠٠ ع ٧٧) على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة : السيوطي : الاتقان ج ١ / ٨ ٧ .

المطلب الأول

أمثلة على غلوم القرآن

١ ـ علم التفسير :

التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار ، وفي الاصطلاح بيان معنى الآية وشأنها وظروفها بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة .

فالنظر في القرآن الكريم من حيث كونه كلاماً له دلالة ومعنى ، ولله تعالى فيه هدف وقصد، ومن أجل بيان هذه الدلالة ، وشرح المعنى، وإيضاح القصد، والافصاح عن الهدف ، نشأ (علم التفسير) الذي تكفل بتلك الغايات .

ونشأت للتفسير أساليب ومذاهب (١) ، ودونت للمفسرين شرائط وآداب وصار المفسرون طبقات .

ولأهمية الدور الذي يمارسه (علم التفسير) صار هــذا العلم أساساً لكافة العلوم وأهمها ، وما من علم إلا ويعول عليه .

٢ _ علم آيات الأحكام:

للأحكام الشرعية مصادر ، منها القرآن الكريم ، والسنة ، والاجماع ، والمعلل . وقد اختلف العلماء في بعض المصادر التشريمية . ولكنهم مجمعون على القرآن الكريم باعتباره أول تلك المصادر .

فالنظر إلى القرآن الكريم من حيث كونه الأصل الأول للتشريع الإسلامي أو المصدر الأساس لمعرفة أحكام الشريعة الفراء ، بما يفيده النص القرآني من أمر أو نهي ، على سبيل الإيجاب أو الترجيح أو الإباحة ، وبمقارنت بسائر

⁽١) أنظر في أساليب التفسير وطرقه ولوازمه : الطبرسي : الجمع ، ج ١ / ١ وما بمدها . الميزان للطبطبائي ج ١ / ٢ ، ج ٣ / ٧٧ ، الحوثي : البيان ، ص ٢١ ٤ .

المصادر التشريعية ، أصبحت آيات الأحكام موضوعاً لعلم (١) هو علم آيات الأحكام . (قيل انها خمسهائة آية) (٢) .

٣ ـ علم الاعجاز:

والنظر في القرآن الكريم ، باعتباره حجة على جميع البشر ، لأن من الله تعالى، ودليل كونه من الله تعالى : إعجازه ، — كا سنبحثه إن شاء الله — صارت وجوه إعجاز القرآن أدلة كونه من الله تعالى . والقران الكريم بهذا الاعتبار ، صار دليل صدق نبوة الرسول الأمين عَيْمَ الله على . وقد تكفل علم الاعجاز بيان وجوه الاعجاز في القران، وشروط المعجزة ، ووجه الحاجة اليها ، ونحو ذلك.

٤ ـ علم المكي والمدني :

والنظر الى القراف الكريم ، من حيث نزوله على الرسول الكريم ، مرة باعتبار (زمن) نزول آياته ، قبل الهجرة من مكة الى المدينة أو بعدها ، ومرة باعتبار (مكان) ما نزل منها في مكة ، سواء قبل الهجرة أو بعدها ، وما نزل في المدينة ، أو سائر الأماكن والأحوال ، كالإسراء والمعراج ، ومرة ثالثة ياعتبار (الأشخاص) المخاطبين بآياته ، وكونهم مكيين أو مدنيين . فقد تولى علم المكي والمدني بيان كل ذلك ، وترتبت عليه فوائد تشريعية وفكرية ، سنعرض لها فيا بعد ، ان شاء الله تعالى .

علم أسباب النزول :

وهو الملم الذي يتكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية ، والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القراني .

⁽١) وأول من صنف في هذا العلم من الشيعة محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ه) ومن الشافعية الإمام محمد بن ادريس (ت ٢٠٠ه) ومن الحنفية أبو بكر الرازي (ت ٢٠٠ه) ومن المالكية القاضي أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق (ت ٢٨٧ه) ومن الحنابلة القاضي أبو يعلى الكبير (ت ٨٥٥ه).

⁽٣) الجزائري : قلائد الدرر ، ج ١ / ب .

فالنظر في القران الكريم ، ومعرفة ما نزل منه ابتداءً دون ما سابق أثر ، وما نزل منه لسبب سابق ، وما نزل مفصحاً عن السبب ، أو بحيباً عنه ، أو مبيناً لحكه، وهل تؤخذ الآبة بعموم معناها ؟ أم بخصوص سبب نزولها؟ ومدى أخذ واقع الآية وما رافقها من ظروف وأحداث وأشخاص بنظر الاعتبار في مدلولها ، كل ذلك وما اليه تكفل ببيانه علم أسباب النزول .

ولهذا العلم دور مؤثر ، في الإفصاح عن كنه الآية ، وبيان مرادها ، وما تضمنته من أبعاد وأغراض .

٧ ـ علم الناسخ والمنسوخ :

النسخ: قد يأتي بمعنى الإزالة ، ومنه قوله تعالى و ... فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته ... ، الحج / ٥٢ . وقد يأتي بمعنى نقل صورة الكتابة من موضع الى آخر ، ومنه قولك: نسخت الكتاب ، اذا نقلت لفظه وخطه كما هو .

والنظر في القران: باعتبار أن آية من اياته مبينة لانتهاء أمد حكم تضمنته اية أخرى ، وانقضاء أجله ورفعه ، ودعوى من لا يرى وقوع النسخ ، وتفسيره للآيات المقول بنسخها ، وحججه على ما يقول ، وأقسام النسخ بالنسبة للقائلين به، وهل الأصل في الآيات الأحكام إلا عند قيام دليل شرعي لرفع حكم شرعي ثابت ، هذه المباحث وما اليها تكفل بها علم الناسخ والمنسوخ.

وأهمية هذا العلم كبيرة في معرفة استمرار ثبوت حكم الآية أو ارتفاعه ، قال الإمام علي تلاتيها لقاض : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت وأهلكت أدامة بالنسبة للفقه والقضاء والتفسير ومعرفة الأحكام ...

⁽١) الزركشي: البرهان ج ٢ / ٢٩ ، السيوطي: الاتقان ج ٢ / ٢٠ .

ومن الجدير بالإشارة أن النسخ في القران ليس من قبيل التناقض في القول أو الاختلاف فيه ، وإنما هو ناشىء من الاختلاف في المصداق الذي ينطبق عليه الحكم حينا تحقيقاً لمصلحة ، ولا ينطبق حينا اخر لعدم المصلحة ، بحسب التقدير الشرعى (١).

٧ ـ علم الحكم والمتشابه :

يمكن القول أن القران كله محكى إذا أريد بالأحكام: الاتقان وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه: « الركتاب أحكت اياته ... ، هود / ١ .

كا يمكن القول أن القران كله متشابه ، إذا أريد بالتشابه تشابه الآيات في الحق والصدق ، والبلاغة النظمية ووجوه الإعجاز . « الله نز"ل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني . . . » الزمر / ٢٣ .

غير أن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُ الْكُتَابِ مَنْهُ آيَاتَ مُحَمَّاتُ هُنَّ أُمُ الْكُتَابِ وَأُخْرَ مَتَشَابِهَاتَ . . . ﴾ ال عمران / ٧ قد قسم القران الكريم إلى ايات محكمات ، وأخر متشابهات . وقد ذهب العلماء إلى منا يزيد على عشرة أقوال في تشخيص هذا التشابه والأحكام ، وبيان مصاديقها من الآيات .

وعلم المحكم والمتشابه : هو الذي يتولى التفريق بين محكم الآيات ومتشابهها، وبيان الفرق بين التشابه والتأويل ، وما إلى ذلك .

٨ - علم الاعراب وعلم البلاغة :

إن النحاة يبنون من القران قواعد إعرابهم ، فهو مرجعهم ، وحكمهم في معرفة خطأ القول من صوابه . والبلاغيون يستهدونه لمعرفة محاسن الصياغة وموازين البلاغة . . .

⁽١) انظر : التشريسع الجنائي الاسلامي،لعبد القادر عودة تعليق السيد الصدر ج ١ / ٣١١. رما بعدها .

فالنظر في القران الكريم باعتباره نصاً عربياً في درجة الكمال ، اتساقاً مع القواعد النحوية ، ودرجة الاعجاز في النظم والصياغة البلاغية ، هو ما يشكل علم الاعراب وعلم البلاغة .

٩ ـ علم الرسم القراني :

والنظر في القران الكريم باعتباره لفظاً عربياً مكتوباً بخط وبشكل خاص وهل هذا الرسم توقيفي ورد النص عليه أم لا ، وهل يجوز مخالفة رسمه حسب الاصطلاحات الشائمة في كل زمن من حيث الخط والإملاء ، وما إلى ذلك . . . فالعلم الذي يبحث ويوضح هذه البحوث هو علم الرسم القرآني .

١٠ ـ علم القراءات :

والنظر إلى القرآن باعتباره كلاماً يتلفظ به بشكل خاص ، والبحث في أنواع القراءات المروية والمعتبرة ، واختلافاتها، ومستويات الاختلاف في القراءات والمناهج في قبولها أو رفضها والآراء في القراءات السبع وعلاقتها بالأحرف السبعة (١٠) التي أنزل عليها القرآن ، والقراءة المثلى ، وما إلى ذلك هو ما يسمى بعلم القراءات .

 ⁽١) يروى حديث عن رسول الله (ص) (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف) وقد أول
 البعض الأحرف السبعة تأويلات شق أدت إلى مشاكل وخلافات عقيدية ولغوية عمقت الحزازات
 ثم تدخلت الأهواء والعصبيات فحدث لهذا الحديث من الآثار ما لم يحدث لغيره .

فان قتيبة (ت ٣٧٦ م) يرى أنها سبمة أرجه من اللفات متفرقـة في القرآن ، والطبري (ت ٣٠٠) يرى أنها سبع لفات ، أو سبعة ألسن من بين ألسن العرب التي يمجز عن إحصائها (أنظر تفسير الطبري ج ١ / ٤٦ ، شاهين : تاريخ القرآن ، ص ٣٣ – ٣٥) .

وخلاصة القول أن ما يروى من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن لا علاقة لها بالقراءات السبع وإن توهم قوم ذلك . وان القراءات السبع أو العشر ، منها ما هو اجتهاد من المقرىء ، ومنها ما هو منقول مجنبر الواحد وهذا هو رأي جماعة المحققين من أهل السنة ، بل المشهور عند جمهور المسلمين (أنظر : الخوثي : البيان ، ص ١٣٧) .

وهكذا نجد أن علوم القرآن تعددت باختلاف الاعتبارات وحيثيات النظر في القرآن الكريم .

ويعتبر القرآن الكريم – بعد كونه كتاب هداية وتنظيم المجتمع الإنساني – محق مفجر العلوم من قرب أو بعد ، فإن الله تعالى هو القائل : « ... ما فرطنا في الكتاب من شيء ... ، الأنعام / ٣٨ . « ... ونز لنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ... ، النحل / ٨٩ . وعن رسول الله عليه أنه قال (ستكون فتن) قيل وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم) .

والجدير بالذكر: أن تعدد علوم القران لا يعني اختصاص كل علم بعدد من الماته. فقد تكون الآية الواحدة موضوع علمين أو أكثر ، بحسب الحيثيات أو الاعتبارات. فقوله تعالى: وليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيا طعموا ... ، المائدة / ٩٣. قد ينظر اليها في علم أسباب النزول ، وعلم ايات الأحكام، وعلم الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمنشابه، والمكي والمدني، وهكذا، ومجسب تعدد الاعتبارات تتعدد علوم القران .

والحق أن القرآن ما نزل إلا على حرف واحد، وأن تسجيله كان على حرف واحد متواتر، والحقيقة - المرة - أن ما وقع من اختلاف فمرده الرواة حسب قواعد البحث العلمي ومناهج المنقد الاسلامية . ولا يمكن إرجاع هذه الاختلافات إلى رسول الله (ص). (... قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع الا ما يوحى إلى ...) يونس / ١٥.

إن الدكتور شاهين يعتبر الاختلافات (رخصة مؤقتة) تاريخ القرآن ، ص ه ٨ . ويقول معاذ الله أن يصدر عبث من الرواة لأنهم أصحاب القرآن : ص ٣٣ ونحن نقول ومعاذ الله أن يصدر الاختلاف من رسول الله (ص) لأنه مبلغ القرآن : « ومـا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » النجم – ٣ ، ٤ .

المطلب الثاني

لمحة تاريخية عن علوم القران

لقد أدركت الطلائع المؤمنة من أصحاب رسول الله ﷺ أهمية العلم ، ووعت أن الشخصية الإسلامية عمادها الأساس هو التوحيد ، وأن طريق التوحيد هو العلم ، فانبرت للعلم تنهله ، وترتاد رياضه ، وطلبت العلم ليهديها إلى الحقائق الكونية والعلوية ، ولتبلغ المراتب السامية في مدارج الرقي الحضاري، وتنافست في مصداق قوله تعالى : « . . . قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب ، الزمر / به . وتسابقت كسباً للدرجات العليا عند الله تعالى ، ونيلا للرفعة والمنزلة السامية لديه « . . . يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . . . ، المجادلة / ١١ .

وفهم المسلمون الأوائل البون الشاسع بين الجهل والعلم في اعتبارات القران، حين ثقفوا قوله تعالى : « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، الروم / ٥٥ . في الوقت الذي اعتد الله تعالى بشهادة أهل العلم على وحدانيته : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط... ، ال عمران / ١٨ .

ولقد كان رسول الله ﷺ النمير العذب والسلسل الرقراق للعلوم الإسلامية فأحاط به الصحابة الأجلاء ، يقبسون منه سناء العلم ، ويستضيؤن بهداه ... غير أن هذه العلوم القرانية لم تدوّن عند تدوين القران في العهد الرسالي وذلك :

- ١ لوجود الرسول ﷺ في المسلمين ، يوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه ،
 ويبصرهم بحقائق التفسير ، ويوجههم نحو المقاصد القرانية ، فهو « . . .
 يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . . . ، ال عمران / ١٦٤ .
- ٢ -- قدرتهم على الفهم المباشر والاستيماب الصحيح ، لفصاحتهم وبلاغتهم
 العربية الأصيلة ، ولأن القران الكريم « نزل به الروح الأمين على قلبك

- لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، الشعراء / ١٩٣ ١٩٥ .
 - ٣ لعسر الكتابة ، وندرة أدواتها ، وقلة الكتاب .
- إلى الرسول المستمالية على عنب غير القران . فمن أبي سميد الخدري قال : قال رسول الله « لا تكتبوا عني شيئًا غير القران ، فمن كتب عنى رسول الله كتب عنى رسول الله في عصره عشر صفحات إلا أن ذلك لا يعد تدويناً) (١) .

لذلك كان التلقين طريقاً والمشافهة أسلوباً للنعلم وللتعليم . وبعد أن اختار الله تعالى الصادق الأمين على الله إلى جواره ، تبارى المسلمون الغيارى على الدين في تدوين العلوم وتصنيفها ، حسب ما توفرت لديهم من الوسائل والأدوات ، ولعل أهم الأسباب التي دفعتهم إلى التدوين :

- ١ الرغبة في أن يكونوا مصاديق تتحقق فيهم إرادة الله الأزلية في حفظ القرائ وتخليده ، ولما تضمنه من علوم ، وما تضمنه من معارف ...
- حدمة الامة الإسلامية جيالاً بعد جيل ، بإشاعة العلم بينها ، ونقله لها
 دون خطأ أو اشتباه بتدوينه . لا سيا بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم .
- ٣ تزكية ما لديهم من العلم بنشره بين المسلمين ، فإن في نشره زكاة له .
 وفيا يلي عرض موجز لأبرز من صنتف ودوّن في العلوم القرانية :

التدوين بعد وفاة رسول الله ﷺ:

لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَنِطِتِها الرجل الأول، والحمرز لقصب

⁽١) الشيخ محمود أبو رية : قصة الحديث المحمدي ص ١٨ وما بعدها .

السبق ، في مضهار تدوين القران وتفسيره وبيان علومه .

ففي (الفهرست) لابن النديم (١) عن عبد خير ان علياً حين رأى من الناس ما رأى عند وفياة النبي كين النبير أقسم أنه لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القران فهو أول مصحف جمع فيه القران. وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحب عن ابن سيرين قريباً منه ، وكذلك ابن الضريس في فضائله، وابن أشتة في المصاحف من وجه آخر ، وفيه انه كتب فيه الناسخ والمنسوخ.

والجدير بالذكر أن جمع علي تنبئتها القران لا يعني أنه لم يكن مدو"ناً ، بل كان مدو"ناً في الرقاع والعسب ونحوها.وقام علي تنبئها لله بتدوينه مصفحاً وذلك بترتيب (الجذاذات) المدو"ن عليها وتوحيدها . كما سيأتي مجثها في جمع القران إن شاء الله .

والمشهور أن الإمام علي تنافيخان أمر أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) بوضع بمض قواعد اللغة حفاظاً على سلامتها ، فكان علي تنافيخان أول من وضع الأساس لعلم إعراب القران .

وأما في مضار التفسير فقد جاء (أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي ابن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جداً) (٢) وعن نصير بن سليان الاحمسي عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه قال والله ما نزلت اية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وهب لي قلباً وعقلاً ولساناً سؤكا (٣).

وعن الأصبغ بن نباتة أنه عليه قسال في خطبة له (... سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبّة ، وبرأ النسمة ، لو سألتموني عن أية آية لأخبرتكم بوقت نزولها ، وفيم نزلت ، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها ، وخاصها من

⁽١) السيوطى: الاتقان ، ج ١ / ٧٥ - ٥٠ .

⁽ ٧) السيوطي : الاتقان ج ٧ / ١٨٧ .

⁽٣) المصدر نفسه .

عامها ، ومحكمها من متشابهها ، ومكيها من مدنيها . . .) (١٠ .

وعن ابن الطفيل قال : شهدت علياً يخطب وهو يقول (سلوني، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم : أبليل نزلت أم بنهار ؟ أم في سهل أم في جبل) (٢) .

وبرع الإمام علي تنتيجان في سائر العاوم القرانية وصنفها ، فلقد (أملى ستين نوعاً من أنواع عاوم القران وذكر لكل نوع مثالاً يخصه ، وهو في كتاب نرويه عنه من عدة طرق ، موجود بأيدينا إلى اليوم ، وقد أخرجه بتامه العسلامة المجلسي (٣) في الجزء التاسع عشر من بحار الأنوار) (٤).

وليس عجيباً أن ينال على عليه على المرتبة ، وأن يدخر هذه الكنوز العلمية ، وأن يبلغ هذا الشأو ، بل كان لزاماً على رسول الله على الله النبين ، أن يصطفي من صحابته أولهم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأصدقهم يقيناً النبين ، أن يصطفي من صحابته أولهم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأصدقهم يقيناً وأقربهم اليه وأشفهم عليه الميكون مستودعاً لعلومه ، حيث أخذت منه على الدعوة الإسلامية ، ونشرها ، ومقارعة حملات الشرك والوثنية ، وأهل الكتاب وتأسيس الدولة ، وإيجاد المجتمع الأمثل ، كل وقته . فكان على عنيته فعلا حافظاً ومستودعاً لعلومه عبيناً وقال الإمام عنيته (كنت أدخل على رسول الله كل يوم دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث ما دار ، وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يفعل ذلك بأحد غيري ... وكنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني ، فها نزلت على رسول الله آية من القران إلا أقرأنيها وأملاها علي "، فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ، وعكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعلمني فهمها وحفظها) (°).

⁽١) المفيد: الارشاد، ص ٢٣.

⁽٢) السيوطي : الاثقان ، ج ٢ / ١٨٧ .

⁽٣) هو المحدّث الكبير محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني المجلسي (١٠٣٧ هـ -١١١٠).

⁽٤) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيمة لعادم الاسلام ، ص ٣١٨ .

⁽ه) الصدوق : الخصال ، ص ١٢٣ .

وعن عبد الله بن مسعود: قال استدعى رسول الله يَمْ عَلَياً عَلِياً عَلَيْهِ ، فخلا به ، فلما خرج إلينا سألناه : ما الذي عهد به اليك فقال : علمني ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب (١).

ولقد أبان القرآن الكريم عن منزلة علي تلاتيها ومقامه في آية المباهلة (٢) وغيرها ، وأكد ذلك رسول الله تشكيل في حديث الثقلين (٣) وحديث المنزلة (٤) وغيرهما .

ومن الصحابة الأوائل في التفسير والتأويل:عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨ ه). فهو أول من أملى في تفسير القرآن. قال أبو الخير في طبقات المفسرين عند ذكره ابن عباس: فهو ترجمان القرآن، وحبر الامسة، ورئيس المفسرين (٥٠).

قال الزركشي : وصدور المفسرين من الصحابة : علي ثم ابن عباس ، إلا أن ابن عباس كان قد أخذ عن علي (٦) .

وقال أيضاً : كان لعلي فيه – التفسير – اليد السابقة قبل ابن عباس وهو القائل : لو أردت أن أملي وقر بعير عن الفاتحة لفعلت . وقسال ابن عطية (ت ١٤٥ه ه) : فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب ويتلوه ابن عباس رضى الله عنها (٧) .

⁽١) الشيخ المفيد: الارشاد ص ٢٣.

⁽۲) قوله تعالى (... فقل تمالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ...) آل عمران / ۲۱ . فالأبناء : الحسنان ، والنساء : فاطمة ، والأنفس : على .

⁽٣) قوله (ص) : (خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...) .

⁽٤) قوله (ص) : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) .

⁽ ه) تأسيس الشيعة ص ٣٢٢ .

⁽٦) البرمان : ج ٢ / ٧٠٠ .

⁽٧) المصدر نفسه ج ١ / ٨ .

وقد ورد أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس بقوله : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) .

ومن المفسرين جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٤ ه) الذي عدّه أبو الخير في طبقات المفسرين من الطبقة الأولى ، ومنهم عبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشمري ، ومنهم الصحابي الجليل أبي بن كعب (١) وهو أول من صنتف في فضائل القرآن، وهو سيد القراء، وعدّه أبو الخير في الطبقة الأولى من المفسرين، وهو ممن جمع القرآن على عهد النبي سَيَحَالِيْ (٢).

ومنهم سعيد بن جبير (٣) التابعي، وهو من أعلم التابعين في التفسير (٤) وقال سفيان الثوري (٥) خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك ... وقال قتادة : ... كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير (٦) .

القرن الثاني للهجرة (٧) :

وبمن اهتموا بعلوم القران ، وعنوا بها : أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ) فهو أول من صنف في القراءة ، ودو"ن علمها ، وأول من صنتف في معاني القران ، وأول من صنف في غريب القران .

⁽١) اختلف في وفانه : قيل سنة ١٩ هـ ، وقيل ٣٣ هـ .

⁽٢) الطبرسي : مجمع البيان ج ١ / ٧ .

⁽٣) قتله الحجاج سنة ٦٤ ه وقد كبه حين أراد قتله (ثم قال له من أنت ؟ قال أنا سميد بن جبير . فقال له أنت شقي بن كسير) . العلوي اليمني : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ج ٢ / ٣٨ .

⁽٤) تأسيس الشيعة ص ٣٧٧ .

⁽ه) ولد عام (ه ٩ ﻫ) وتوفي عام (١٦١ ﻫ) بالبصرة .

⁽٦) السيوطي: الاتقان ج ٢ / ١٨٩.

⁽٧) تأسيس الشيمة ص ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ . ٣٢٠ .

ومنهم طاووس بن كيسان (ت ١٠٦ه) ، وهو من أصحاب الإمام علي ابن الحسين عليه على على ابن الحسين عليه على على ابن المساقب الكلبي ، من أصحاب الإمام محمد الباقر عليه الله وهو أول من صنف في أحكام القران (ت ١٤٦ه) وهو صاحب التفسير الكبير ، ومنهم شعبة بن الحجاج ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، والسدي (ت ١٢٧ه) وأبو حزة الثالي صاحب زين العابدين عليه الد ذكر تفسيره ابن النديم .

القرن الثالث للهجرة :

ومن مشاهير المهتمين بعلوم القرآن في هذا القرن: الفرّاء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ه) فقد صنف في معاني القران ، ومنهم علي بن ابراهيم القمي وله كتاب تفسير القران ، وعليه المعوّل إلى اليوم ، لأنه تفسير بالمأثور عن أهل البيت عليهم السلام ، عاصر الإمام الحسن العسكري عيسيه وهو من أعيان القرن المثالث .

ومنهم محمد بن جنيد ، وهو من الفقهاء الأعاظم ، ألتف في الفقه المقارن ، وهو أول من صنف في أمثال القران ، ذكر ابن النديم في الفهرست ما لفظه (كتاب الأمثال لابن جنيد) . وله مصنفات كثيرة . وهو من معاصري والد الشيخ الصدوق .

ومنهم العياشي محمد بن مسمود ، فله ما يقرب من مائتي مصنف ، منها كتاب النفسير المعروف به (تفسير العياشي) . والحسن بن علي بن فضال ، له كتاب (الناسخ والمنسوخ) ، وكان من خواص الإمام الرضا ينسئهن وتوفي سنة ٢٢٤هـ . ومحمد بن العباس بن علي ، المعروف بابن الحجام ، له في كل علوم القران كتب مفردة ، وله كتاب (ما نزل في أهل البيت من القران) ، وهو ألف ورقة .

ومنهم على بن المديني (ت ٢٣٤ه) ، له (أسباب النزول) . وأبو عبيد القاسم بن سلام له (الناسخ والمنسوخ) و (القراءات) و (فضائل القران) ، ومحد بن أيوب الضريس (ت ٢٩٤ه) ، صنف في المكي والمدني .

القرن الرابع للهجرة (١):

في هـــذا القرن ، نشط العلماء في تكريس جهودهم في تدوين علوم القران بصورة واسعة ، فمنهم أبو علي الكوفي (ت ٣٤٦ه) له كتاب (فضائل القران) ، ومنهم ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ه) ، وتفسيره مشهور باسمه . ومنهم ابن عقدة أبو العباس : وهو وحيد دهره في حفظ الحديث (ت ٣٣٣ه) له كتاب في تفسير القران من طريق أهل البيت (ع) ، ومنهم أبو بكر بن القام الأنباري (ت ٣٢٨ه) ، له مصنف في (عجائب علوم القران) . وعمد الأدفوي وأبو الحسن الأشعري له كتاب (المختزن في علوم القران) ، ومحمد الأدفوي (ت ٣٨٨ه) وكتابه (الاستغناء في علوم القران) ، ومحمد الأدفوي وعبد الله بن أبي داود سلمان بن الأشعث (ت ٣١٦ه) له كتاب (المصاحف) والسيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ه) وله كتاب (تلخيص البيان في مجازات والسيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ه) وله كتاب (تلخيص البيان في مجازات القران) .

القرن الخامس للهجرة (٢) :

وفي هذا القرن ازداد ازدهار المؤلفات وكثرت المصنفات فظهر منهـــا (البرهان في علوم القران) كو (البيان في علوم القران) للشيخ المفيد محمد بن النمان (ت ٤٠٩ هـ) وقيل (ت ٤١٣ هـ) . وكتاب (التبيان في تفسير القران)

⁽١) أنظر تأسيس الشيعة ص ٣٣١ وما بعدها .

⁽٢) انظر الزنجاني : تاريخ القرآن ص ١٦ ، تأسيس الشيعة ص ٣٣٩ .

للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (١) (٣٨٥ هـ - ١٩٠ هـ) ، وكتاب (التيسير في القراءات السبع) وكتاب (المحكم في النقط) لأبي عمرو الداني (ت ١٤٤ هـ) . وكتاب (المفردات في غريب القران) للراغب الأصفهاني (ت ٢٠٥ هـ) .

القرن السادس للهجرة :

ومن المصنفين في هذا القرن : الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب (ت ٥٨٨ه) ، له كتاب (أسباب النزول) ، وكتاب (متشابه القرآن) ، ومنهم الشيخ أبو الفتوح الرازي ، له كتاب (روض الجنان في تفسير القرآن) في عشرين مجلداً .

ومنهم أمين الدين الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وقيـــل (٥٥٦هـ ، ٥٦١هـ) صاحب (مجمع البيان في تفسير القرآن) . ومنهم ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) صاحب (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) .

القرن السابع للهجرة :

ومن علماء هذا القرن علم الدين السخاوي (ت ٣٤٣ هـ) له كتاب (جمـــال القراء وكمال الأقراء).والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) صنف في مجاز القرآن. وأبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) له (المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز) .

القرن الثامن للهجرة :

وفي هذا القرن ألـّف بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٤٥هـ – ٧٩٤هـ)كتاب (البرهان في علوم القرآن) .

(r) — rr —

⁽١) هو شيخ الإمامية . قــدم العراق ، وتتلمذ لدى الشيخ المفيد ، وتوفي ودفن في النجف الأشرف .

القرن التاسع للهجرة :

ازداد في هـذا القرن التأليف وتنوع: فصنف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ه م) كتابه (الإتقان في علوم القرآن) وكتاب (التحبير في علوم التفسير) و (ممترك الأقران في تفسير القرآن) . وصنف جلال الدين البلقيني كتابه (مواقع العلوم في مواقع النجوم) .

ثم استمر العلماء في إغناء المكتبة الإسلامية بصنوف المؤلفات والأمجاث المتعلقة بالقرآن الكريم أمثال (قلائد الدرر) للشيخ أحمد الجزائري(ت ١١٥١هـ) ونحوها، وفي القرن الأخير ظهرت بدائع المؤلفات ونفائس المصنفات التي كشفت عما في القرآن الكريم من ذخائر وكنوز المعرفة والعلم . منها (الميزان في تفسير القرآن) للعلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي وهو من كتب التفسير القيمة ، وقد ناقش فيها آراء كثير من المفسرين القدامي والمحدثين ، وجمع بين طريقي الرأي والمأثور ، وضم أبحاثاً علمية واجتماعية وقرآنية وروائية ، تدل على سعة الاطلاع ، وعمق التفكير واستيعاب المادة .

ومما ظهر كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) للشيخ طاهر الجزائري . وكتاب (محاسن التأويل) للشيخ جمال الدين القاسمي ، وكتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، و (منهج الفرقان في علوم القرآن) للشيخ محمد علي سلامة . و (التصوير الفني في القرآن) و (في ظلال القرآن) للأستاذ السيد قطب ، وكتاب (الظاهرة القرآنية) للأستاذ مالك بن نبي . وقد كشف فيه عن جانب الوحي . و (تفسير القرآن المكستاذ مصطفى الحكيم) للسيد محمد رشيد رضا . وكتاب (اعجاز القرآن) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي . و (نظرات في القرآن) للأستاذ محمد الغزالي . وكتاب (علوم الطبيعة في القرآن) للأستاذ يوسف مرورة ، بحث فيه العلوم الحديثة كالذرة وغزو الفضاء والنسبة ، والنظام الكوني . وكتاب (روائع الاعجاز) تأليف الدكتور

محمد جمال الدين فندي – لجنة الخبراء – وفيه بيان ما في القرآن من علوم تتملق بالمريخ والزهرة والماء والقمر والمذنبات والمجرات والأرض والانسان والصعود إلى الكواكب . . . وظهر للإمام السيد أبي القسامم الحوثي كتاب (البيان في تفسير القرآن) وفيه مقدمات ومباحث هامة جداً ، مع تفسير الفاتحة .

ولا يزال البحث والتأليف مستمراً في أصقاع العالم الإسلامي ، والعلم اعا عاكفون على دراسة ما في القرآن الكريم من أصناف المعارف والعلوم ، وهو يمد البشرية بأنوار الهداية ، والرشاد ، ويدلهم على الطريق المستقيم ، والحياة الحرة السعيدة الكريمة .

القصل الثاني

القرآن الكريم

- أسماء القرآن ومناسباتها اللفظية والممنوية .
 - إعجاز القرآن .
 - هداية القرآن .
 - أثر القرآن في تحرير العقول .
 - دعوة القرآن إلى التفكر.
- الامة الإسلامية : عقيدتها ، معاملاتها ، أخلاقها .

المبحث الأول

أسماء الفرآن ومناسباتها

دلالة الأسهاء والمصطلحات:

إن (المصطلحات) التي يستعملها الباحثون ، لها مداليل ومفاهيم يجب البحث عنها ضمن الفكر الذي يستند إليه الباحث ، ويفسر بموجبه الطواهر والأحداث ليخلص إلى النتائج المطلوبة .

وليس من الصواب قبول (اصطلاح) ما ، بغض النظر عن القيم الفكرية التي يستند عليها . فلفظ (الحرية) مثلا ، أو (المدالة) أو (الحق) أو غيرها يختلف مفهومه في الفكر الإسلامي ، عما هو عليه في الأفكار المغايرة .

ونما يؤيد ما ذهبنا إليه ، ما جاء ، أن الإسلام (لم يتبن العدالة الاجتاعية بمفهومها التجريدي العام ، ولم يناد بها ، بشكل مفتوح لكل تفسير ، ولا أو كله إلى المجتمعات الانسانية التي تختلف في نظرتها إلى العدالة الاجتاعية ، باختلاف أفكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة) (١).

 ⁽١) محمد باقر الصدر: اقتصادنا ج ٢ / ٢٨١.

وعلى هذا الأساس ، فليس من الصواب : ترحيل الاصطلاحات من فكر إلى فكر ، يختلف عنه في قاعدته المقيدية ، وفلسفته التشريمية . فمن الجهل أن نبحث مفهوم (التقوى) مثلا في الفكر الرأسمالي، أو فكرة (سوق المنافسة الحرة) في الفكر الإسلامي .

والغريب أن البعض !! يصطلح على (الاسلام) اصطلاحات فكرية غريبة عن أسسه الفكرية . ولعل الهدف منها :

(أ) إما ترويج الاسلام – إذا افترضنا حسن النية – وهذه طريقة باطلة ، لأن وصف الاسلام أو تسميته بما هو غريب عنه ، طمس لمعالمه الفكرية ، وتشويه لحقائقه وأبعاده التشريعية . إذ الاسلام بحقيقته المجردة ، ودونما وصف إضافي ، قدير على كسب أفئدة الشعوب ، وتنظيم مجتمع الانسانية ، إذا ما تجلت تشريعاته واتضحت مفاهيمه الكاملة الشاملة ، دونما تعصب أو هوى ، ولا أدل على ذلك من التجربة العملية التي مر" بها طيلة الحكم النبوي الشريف .

(ب) وإما مطاردة الفكر الاسلامي - إذا افترضنا سوء النية - بإشاعة الأفكار والمصطلحات الأجنبية ، وصبغها بصبغة إسلامية ، لاغفال الامة عن فكرها الأصيل ، وجرها إلى ما لا تمت اليه بصلة ، باسلوب خبيث جذاب ، من غير ضجة ، ولا إثارة انتباه ، فتندفع الامة إلى الايمان به ، باعتبار أن هذا الاصطلاح الاجنبي (رائج) أولا"، وأنه لا ينافي (لب الاسلام !!). ثانياً ، وكأن الاسلام (جوز الهند) ، فيه لب وفيه قشور يجدر طرحها !!!

على أن الاعتبار في استمهال الاصطلاحات إنمــــا هو بالأغراض التي وقع الاصطلاح لأجلها ، وإذا علمنا ذلك اتضح لنا السر في اختيار الله تعالى لكتابه الكريم اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم جملة وتفصيلاً.

فلو سمي القرآن (ديواناً)،والسورة (قصيدة)، والآية (بيتاً)، ونهايات الآيات (قوافي)، لتحقق إقرار التعبير الجاهلي، ولسار القرآن الكريم في

خط الاستعمالات والأعراف الشائعة قبله ، ولكنه بالرغم من نزوله قرآناً عربياً ، وبلسان عربي مبين ، نجده ينهج في اصطلاحاته ، نهجاً يتفق مع مسا جاء به من فكر وقيم ومفاهيم وأعراف. ويطلق تسمياته حسب أغراض يريدها ، تتجاوب مع تصوراته ، وتتفق مع مداليله ، وقيمه الخاصة .

وعليه (فلا يجوز تسمية الفواصل قوافي إجماعاً ، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر ، وجب سلب القافية عنه أيضاً ، لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله لا تتعداه) (١) .

ولمل السبب أو الباعث على هذا التغيير هو:

- (أ) ابتناء التسميات والمصطلحات الجاهلية على الفكر والمفاهيم الجاهلية ، وقصورها بالتالي عن احتمال المعاني الإسلامية الجديدة .
- (ب) إرادة طبع الثقافة الإسلامية ومن ثم الامة الإسلامية التي تبشير بها ، بطابع خاص متميز ، عن طريق هذه المصطلحات ، والتسميات الجديدة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذَّيْنَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَنَا وَقُولُوا انظرنا . . . ﴾ البقرة / ١٠٤ ، وما تحويل القبلة ، وتعيين أعياد خاصة للمسلمين وتسمية الرسول من لم يتبع الإسلام (جاهلي) إلا مؤيدات لما ذهبنا اليه ، من الحرص على إيجاد أمة مستقلة عن سائر الامم ، الفارقة في الحرافات والجهالة ، مستقلة عنها : في الفكر والسلوك ، والعواطف والمشاعر ، وهكذا كانت أمتنا كما أرادها الله وصنعها رسوله الكريم : خير أمة أخرجت للناس . . .

⁽١) السيوطي : الاتفان ج ٢ / ٩٧ .

إساء وأوصاف القرآن ومناسباتها :

تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث ، فقال (أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة – بضم عين عزيزي – في كتاب البرهان : اعلم أن الله سمتى القرآن بخمسة وخمسين اسماً) (١١) . وهمذا وهم منه ، إذ أنه خلط بين الأسهاء والأوصاف ، وأكثر ما ذكر من أسهاء للقرآن إن هي إلا أوصاف ، مناسبة لكتاب الله العزيز .

والمناسبة في اللغة : المقارنة ، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه . وسمي النسيب نسيباً لقربه واتصاله . (ومنه المناسبة في العلة — في باب القياس — الوصف المقارب للحكم. لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم . ولهمذا قيل : المناسبة أمر معقول إذا عرض على المعقول تلقته بالقبول) (۲) عند من يقول بالقياس .

ولكل اسم من أسماء القرآن أو وصف من أوصافه ، مناسبة مضمونية : فوصفه بـ (الحكيم) مثلاً لإحكام صياغته ، واحتوائه على الحيكسم والدبر . إذ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن . وكذا وصفه بـ (النور) لأن الرؤية لا تتم حوود البصر – إلا بالنور ، والعقل مع قدرته على الإدراك فإنه لا يدرك كثيراً من الحقائق ولا يهتدي اليها إلا بالقرآن ، وتوجيهاته النيرة . قال تعالى : و . . . قد جاءكم من الله نور ، وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . . . ، المائدة / ١٥ – ١٩ .

وفيا يلي ذكر بعض أساء وأوصاف القرآن الكريم ، مع بيان المناسبات التي تربط بينه وبين المعاني الاشتقاقية لهذه الأسهاء والأوصاف :

⁽١) السيوطى :الاتقان ج ١ / ٥٠ .

⁽٢) الزركشي : البرمان ج ١ / ٣٠ .

١ ـ القرآن :

قال تعالى : « لو أنزلنا هــذا القرآن على جبل لرأيته خاشماً متصدّعاً من خشية الله ... » الحشر / ٢١ .

فإن قلنا ان (القرآن) مصدر ، أو وصف مشتق فمعناه (الجمع) ، من قولهم قرأت الشيء أي جمعته (۱) ، بدلالة قوله تمالى : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، القيامة / ۱۸ .

ومناسبته أن القرآن الكريم جمع أحكام الامم الفابرة ، وأخبارها ، وجمع بين رقة الشمر وجزالة النثر البليغ ، وجمع بين اصول العقيدة ومبادى، الأخلاق والأحكام العملية ، وجمع – الهتمسك به – خير الدنيا والآخرة ، وجمع بين متطلبات الانسان الجسدية والروحية وهكذا ... وإلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين (٢) وانه الأصل في اللغة العربية .

وإن قلنا أن القرآن مصدر قرأ قراءة وقرآناً: أي نطق بالمكتوب ، ومنه قوله تمالى : وإن علينا جمعه وقرآنه ، القيامة / ١٧. فإن مناسبته حفظ الكتاب الالهي في الصدور ، لأن في القراءة استذكاراً واستظهاراً للشيء ، كما أنه مما يتعبد الله تمالى بتلاوته .

أما إذا قلنا أن القران : لم يؤخذ من قرأت ، إذ لا يقال لكل جمع قران ، ولا لجمع كل كلام قران ، فيكون اسماً قد خص بالكتاب المنزل على محمد عَمَالِيْكِ فصار له كالمَلم ، كالتوراة والانجيل (٣) .

⁽١) القسطلاني: لطائف الاشارات ج ١ / ١٨.

⁽٢) انظر : لسان العرب مادة / قرأ .

⁽٣) انظر : المفردات ص ٢٠٤ .

لماكان (الكتاب) بالتبادر (هو الصحيفة أو الصحائف التي تضبط فيها طائفة من المعاني، عن طريق التخطيط بقلم أو طابع أو غيرهما) (١١) ، كما أن الكتابة ليست إلا جمعاً للحروف، ورسماً للألفاظ، فتسمية كلام الله تعالى بـ (الكتاب) إشارة إلى جمعه في السطور.

وقد جرى كلامه تعالى في إطلاق الكتاب على أمور منها :

أ - الكتب المنزلة على الأنبياء المشتملة على شرائع الدين، ككتاب نوح عليه الله في قوله تعالى : « . . . وأنزل معهم الكتاب بالحق . . . » البقرة / ٢١٣ ، و كتاب ابراهيم وموسى » الأعلى / ١٩ . و كتاب محسد عليه الله الكتاب لا ريب فيه . . . » البقرة / ١-٢. و كتاب يحيى عليه الله لا يعيى خذ الكتاب بقوة . . . » مريم / ١٢ .

ب – الكتب المخصصة لضبط الحسنات والسيئات ، فمنها مـا هو مخصص لكل إنسان و وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، الاسراء / ١٣ – 18 . ومنها ما هو عام لكل أمة من الامم و وترى كل أمة جائية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزّون ما كنتم تعملون ، الجائية / ٢٨ .

ج - الكتب التي تضبط أحداث الوجود ونظامه ، وهـذه منها الثابت : و . . . وما يعزب عن ربك من مثقال ذرآة في الأرض ولا في السهاء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، يونس / ٦٦ . ومنها الكتب التي يتطرق اليها التفيير كما يشاء الله تمالى و يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، الرعد / ٣٩ .

⁽١) الميزان : ج ٧ / ٥٦٠ .

٣ ـ الفرقان : « تبارك الذي نز"ل الفرقان . . ، الفرقان / ١ .

ومادة الفرقان تفيد معنى التفرقة ، ومناسبتها : الاشمار بالدور الذي أداه كتاب الله تعالى في التفريق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، وطريق الجنة وطريق النار ، وسبيل الحلال وسبيل الحرام ، ومنهج العبودية في عبادة المخلوق ومنهج التحرير في عبادة رب الأرباب ... الخ . (وقيل سمي بذلك لأنه يؤدي إلى النجاة والمخرج نظير قوله تعالى : « ... يجعل لكم فرقاناً ... ») (1) الأنفال / ٢٩ .

٤ _ الكادم :

وهو مشتق من الكلم بمعنى التأثير: (لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده) (٢٠ قال تعالى : د و إن أحد من المشركين استجارك فأجر حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ، التوبة / ٦ .

(وعن الحسين بن خالد قال : قلت للرضا علي بن موسى عليهما السلام : يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن، أخالق أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل) (مم).

ويمكن أن تكون هذه التسمية مناسبة لما في القرآن الكريم من أحكام ، أو أخبار ، نظير قوله تعالى : « وتمسّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم ، الأنعام / ١١٥ ، أي لأحكامه .

الحدى :

ومناسبته : كون القرآن الكريم هادياً إلى الحق والرشاد ، وهو من باب

⁽١) الطبرسي : مجمع البيان ج ١ / ١٤ .

⁽٢) السيوطي : الاتقان : ج ١ / ٥٠ .

⁽٣) الصدوق: كتاب التوحيد، ص ١٥٧.

إطلاق المصدر وإرادة الفاعل . نظير قوله تمالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى الناس وبينات من الهدى والفرقان . . . » البقرة / ١٨٥ . بمنى : هادياً للناس . . .

٢ - ذكر:

وهو الشرف ، ومنساسبته : أن الرسول ﷺ نال أقصى مراتب الشرف بتبليغه القرآن الكريم ، وكذلك صارت أمة محمد ﷺ خير الامم وأشرفها ، لأنها حملت للناس نور القرآن وهدايته. قال سبحانه: « وإنه لذكر ال ولقومك وسوف تسألون » الزخرف / ٤٤ .

كما أنه ذكر من الله تعالى لعباده ، بالفرائض والأحكام، ولما ضم من المواعظ والعيبَر ، وذكر الامم الغابرة .

ولقد وردت أوصاف اخرى للقرآن الكريم ، منها : (شفاء) إشارة إلى أثره في معالجة أمراض القلوب ، كالكفر والحقد ، والفل والحسد ، بل هو شفاء للجسم أيضاً لما فيه من قواعد الصحة الوقائية العامة ، نظير قوله تعالى : « . . . وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » الأعراف / ٣٠ . ومنها (القصص) كما في قوله تعالى : « إن هذا لهو القصص الحق . . . » آل عران / ٣٢ ، لما فيه من قصص الامم الفابرة . ومنها (الحكيم) لأنه أحكت قلا يتطرق إليها التبديل أو التحريف . ومنها (الحكيم) إنه أتبا أحكت المناسب ، فيا فصل من حلال وحرام ، وما شرع من أمر ونهي . كما أن نزول القرآن تم على القانون المعتبر، من وضع كل شيء في موضعه اللائق. ومنها (الحبل) القرآن تم على الفانون المعتبر، من وضع كل شيء في موضعه اللائق. ومنها (الحبل) المستقيم) لأنه طريق قويم إلى الله ، لا عوج فيه ولا دوران . ومنها (العزيز ، المستقيم) لأنه طريق قويم إلى الله ، لا عوج فيه ولا دوران . ومنها (العزيز ، الموعظة ، الجيد ، بلاغ ، بصائر ، بيان ، المثاني ، الننزيل ، الوحي ، الرحة ، الموعظة ، الجيد ، بلاغ ، بصائر ، بيان ، المثاني ، الننزيل ، الوحي ، الرحة ،

النذير ٬ المهمن ... الخ .) وغيرها من الأوصاف المناسبة للقرآن لم نتطرق إلى شرحها خشمة الإطالة .

المبحث الثاني

إعجاز القرآن

بحث العلمـــاء إعجاز القرآن وصنــقوا مختلف المصنفات ، ولا يزالون على الأعتاب . . . على الرغم بما قدموه من مؤلفات جليلة القدر .

فقد بات من الواضح ، أن القرآن : دالة البلفاء ، والفصحاء ، وضالة الحكاء ، وحجة الفقهاء ، ومصدر الحكام ، ومورد علماء الاجتاع والاقتصاد والسياسة ، ومنهل الأدباء والفضلاء . كشف عن دارس أخبار الفابرين ، وتحدث عن الخليقة منذ أن بدأ الله تعالى الخلق والتكوين ، وصور الانسان ، وبسط الأرض ، ورفع الساء ، حتى يوم يطويها كطي السجل للكتب ، وأخبر عما بعد الموت : من حياة البرزخ ، وعما بعد النشور : من أهوال يوم القيامة ، وصور مشاهد الجنة والنار ، وأحوال أهليها .

والقرآن الكريم أنق البشرية بهدايتها إلى التوحيد الخالص ، وبما وضع لعلاقات الناس من نظم وقواعد، وبما قرر من حقوق وواجبات، وتقويم للساوك والخلق الانساني ، على أسس العدالة والمساواة ، فوضع لكل شيء قدره ، وأعطى لكل أمر منزلته وأهميته ، فسمق بالانسانية سموقاً ، لم يفقدها حرية الاختيار ، في الفعل والترك ، كما لم يأتها بتشريع خيالي يخلب الألباب ، ثم يتعثر عند التطبيق ، وحرية الانسان وقدرته على الاختيار ، لما قام عليه القرآن الكريم من أساس التوحيد الكوني ، المطابق المفطرة الانسانية ، ولجميع أحداث العوالم المنظورة وغير المنظورة. فأخرج بذلك أمة ، صارت و خير أمة أخرجت للناس » .

المطلب الأول

المجسزة

الاعجاز لغة:

هو الفوت . يقال : أعجزني الأمر أي فاتني .

وإثبات العجز ونسبته: أعجز أخساه إذا أثبت عجزه عن شيء ، أو جعله عاجزاً .

ووجدان العجز : أعجزت زيداً : أي وجدته عاجزاً .

الاعجاز اسطلاحا:

- أ (أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله) (١٠ .
- ب (أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه) (٢). وبالموازنة بين الاصطلاحين: نجد امتياز الثاني على الأول بما يلى:
- ١ تضمنه إمكان حدوث المعجزة على يد بشر ، في حين أن المتبادر من الأول تعميم العجز على جميع البشر. وإذا كان كذلك، فمن هو صاحب المعجزة إذا ؟ اللهم إلا إذا فهمنا أن المقصود منه : هو عجز البشر بما هم بشر عن الاتيان بها .
- ٣ أبان التعريف الثاني أن المعجزة ما يأتي به مدع لمنصب الهي ، ودون

⁽١) الزرقاني : مناهل الفرقان ج ١ / ٦٦. وأضاف للتعريف السابق: (أو هي أمر خارق للمادة ، خارج عن حدود الأسباب المعروفة . يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة ـ عند دعواه إياها ـ شاهداً على صدقه) . وهذا أولى من التعريف الأول .

⁽٢) الامام الحوثي : البيان ج ١ / ٣٤ .

ذلك ليس بمجزة ، فمن جاء باكتشاف أو اختراع عجز عنسه سائر الناس لجهلهم المؤقت ، فها ذلك بمجزة ، وفي هذا تحديد سديد ، لأن الجهل عجز آني وليس أبدياً، من جهة ، ولأن الاعجاز في مقابل الجهل ليس بخرق لنواميس الطبيعة ، من جهة أخرى .

- إن المعجزة خرق للعادة الجارية ، والقوانين الطبيعية ، دون أن تكون مستحيلة بذاتها ، مجيث يبطلها العقل ، كابطاله اجتاع النقيضين ، أو ارتفاعها ، بل هي محكومة بقانون العلية العام . لأنها تصرف ما وراء الطبيعة بالطبيعة .
- ٤ تضمن التعريف الثاني : إن ثبوت المجز دليل صدق دعوى المنصب الالهي تثبت بمد ثبوت دعوى الاعجاز.
 و يمكن القول ان المعجزة هي :

ما يأتي به انسان بتأييد الهي، ويعجز عنه غيره ، غير مستحيل بذاته عقلاً، ويخرق السنن الطبيعية ، إثباتاً لمنصب الهي يدعيه . فعناصر المعجزة الأساسية بناء على هذا التعريف :

- ١ عجز الآخرين عنها .
- ٧ انها خرق للقوانين الطبيعية .
 - ٣ انها ليست مستحيلة عقلاً.
- إنها في صدد إثبات دعوى المنصب الألمي .

لذا فإن من يأتي بأمر بناء على الحس والتجربة ، ليس بمعجزة ، لعدم توافر خرق القوانين الطبيعية فيه . فالصعود إلى القمر مثلاً أو المريخ ليس بمعجز ، لأنه قائم على التجارب ، مسبوق بتعلم وتدارس وتجارب ، فاقد لصفة خرق القوانين الطبيعية ، و كذا الحال في معالجة الأمراض – مثلا – بالايحاءات النفسية ، أو أي ابتكار لمرض عضال ، ولأن عجز الآخرين عن القيام

بمثل هذه الامور ، ليس عجزاً مطلقاً ، بل هو عجز نسبي ، سببه عدم التعلم ، أو الجهل بالتجربة ، فكما صعد إلى القمر إنسان غربي ، صعد اليها إنسان شرقي، ولهذا فإن مثل هذه الامور ليس فيها خرق للعادة الطبيعية الجارية في تسخير قوى الطبيعة لمشيئة الانسان ، بل هي موافقة لها متفقة معها تماماً . ولا تعدو أن تكون إخضاع قوى الطبيعة لإرادة الانسان .

والقرآن الكريم يقرر حقيقة لطفافة تمالى ، بتذليل قوى الأرض والسهاوات لعقل الانسان. قال سبحانه: « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السهاوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نِعمَه فلهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » لقهان / ٢٠. وواضح أن النبي الكريم علم القرآنه العزيز خرق النواميس الطبيعية ، وجاء بمعجز من غير سبق تعلم وتعليم ، معجز للإنس والجن ، على أن ما جاء به لا يحيله العقل ، لأنه على الله يدعيه من نفسه بل من الله تعالى .

المطلب الثاني

الحاجة إلى المعجزة

التلازم بين حاجة النبي إلى المعجزة وحاجة الناس اليها واضح وبين . فليس عقدور النبي ، أن يؤدي دوره بدونها ، والناس غير منقادين إلى ما جاء به هذا النبي ، ما لم يتحقق فيهم العجز عن مجاراته فيا جاء به .

أ ـ حاجة النبي الى المعجزة:

من المعلوم ، أن حاجة البشر إلى الهداية الإلهية ضرورة حياتية ، وفطرية ، تستلزمها طبيعةالانسان،واستعداده الخلقي وما أنيط به من دور في هذه الحياة.

وهذه الهداية واجبة على الله تعالى وذلك :

- ١ لعلم الله تمالى بجاجة الانسان اليها ، فعدم علمه بها جهل يتنز معنه
 رب العالمين .
- ٢ لكرم الله ولطفه ورحمته ، وقد كتب على نفسه الرحمة فالبخل بها
 مع حاجة الناس اليها نقص ممتنع عنه سبحانه وتعالى .
- ٣ لقدرة الله تعالى على هـداية الناس ، إذ العجز نقص يستحيل على العلى القدير .

ونخلص من هذه القواعد المقلية ، إلى أن الهداية الالهية واجبة على الله تعالى وجوبًا عقليًا . وهي تتطلب مبلّـهًا عنه يؤديها إلى الناس ، وذلك هو النبي .

ولما كان العقل السوي يتطلب دليلا على كل (دعوى) ، فمن ادّعى بسفارة عن الله تعالى ، مقتضاها هداية الناس إلى حياة أفضل ، وعيش أرغد ، بتغيير واقعهم إلى واقع أمثل ، وإلزامهم بتكاليف وواجبات مؤداها اتيان امور وترك اخرى ، هذه السفارة المدعاة ، لا بد لها من دعم وإسناد ملزم . يقوم بيّنة على صدق المدعى ، ودليلا على واقعيته ، وحقيقة النقل والتبليغ عن الله تعالى . وشاهد صدق ، وحجة بالغة على المخاطبين بها من الناس .

ومن هنا كانت المعجزة : ضرورة للدلالة على صدق النبو"ة ، ولا مفر" عنها لتأدية الأمانة التي تحملها النبي ﷺ . ولا يقوم مقام المعجزة أي أمر آخر، في متناول الناس القيام به .

وبالمجزة يقطع دابر المتنبئين، إذ ان الناس تطالبهم بها بمجرد ادّعائهم النبوة فيسقط في أيديهم ، ويظهر زيف ادعائهم ، وكذب مزاعمهم .

ب ـ حاجة الناس الى المعجزة:

إن من لوازم النبوة - بالنسبة للناس - تكليفهم بامور. فهم يُدعون بموجبها إلى التخلي عما هم عليه ، من علاقات وتنظيم ، وعقائد وأفكار ، وعواطف

ومفاهيم و ... والسير على نهج جديد ، بموجب الرسالة الجديدة .

والطلب إلى الناس تغيير ركائز عقائدهم ، وأصول مناهجهم الاجتاعية ، وأعرافهم وما أليفوه وورثوه ، لا شك أنه كلفة دونها سائر التكاليف . فلا بد من تحقيق استجابتهم ، والحصول على انقيادهم ، وطاعتهم ، طوعاً لا بالقهر والغلبة المادية ، والإكراه الجسدي ، – إذ لا إكراه في الدين – ولا يتحقق الاذعان إلا صوريا إن لم يكن عن قناعة وإيمان ، وهذه الصورة من الاستجابة لا تتم إلا بأمر خارق لنواميس الطبيعة ، يقفون عنده مذعنين طائمين ، ويتم ذلك بالمجزة . قال سبحانه : « الركتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحيد ، ابراهيم / ١ . فأخبر عز وجل أن المقصد الأساس للقرآن هداية الناس ، ولا يكون ذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة على الناس ما لم يكن معجزة .

المطلب الثالث

القرآن المعجزة الكبرى الخالدة

إن عظم المعجزة نوعاً واستمراراً يتوقف على عظم الدعوى المراد إثباتها ، فإذا استمرنا لغة الرياضيات قلنا أن بينهما (تناسباً طردياً) .

فنحن نجد أن معجزات الأنبياء السابقين التي جاؤوا بهـ التوثيق ودعم رسالاتهم الساوية، والبرهنة على صدق نبوءاتهم، إنما كانت أمدية، لأن رسالاتهم كانت مؤقتة ، لفترة من الزمن . ولهذا لم تبق معجزة موسى ولا عيسى ولا سواهما . ونحن إنما آمنا بها ولم نرها ، لورودها في القران الكريم .

أما دعوى الرسول الأعظم ﷺ فكانت : أنه رسول الله وخاتم النبيين إلى الناس أجمعين. لذا جاءت معجزته – القرآن الكريم – بحجم هذه الدعوى. فهو معجزة باقية تتحدى العصور والدهور . وقبل أن نقف على وجوه إعجاز القران حسبنا ــ لمعرفــة عظمة القرآن ومدى مــا يتملك من عناصر الخلود والبقاء ـــ أن نعرف أبعاد شموله التي لم تتوافر في غيره .

أ من فبعده الشخصي: الذي يعني الخاطبين به ، يشمل الناس جميعاً دونما تمييز بين طبقة وأخرى ، أو تفرقة في الدين أو الجنس أو اللغة أو نحو ذلك ، قال تعالى :

« قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ... » الأعراف / ١٥٨ .
 « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء / ١٠٧ .

ب ـ و بعده الزماني : الذي يعني الفارة الزمنية لنفاذ مفعوله ، فإنه يعم كل زمان من لدن البعثة المباركة حتى قيام الدين . قال تعالى :

د . . . وأوحى إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بَلْــَغ . . . » الأنعام / ١٩ .

جـ و بعده المكاني : الذي يمني الرقعة أو الاقليم الذي يمتد اليه سلطانه – فإنه يعم المكلفين من البشر في الأرض أم في الساء براً أو بحراً أو جواً قال تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» سباً / ٢٨ .

د و وبعده الموضوعي : الذي يعني النواحي الانسانية التي نظمها ، فإن القرآن جاء (تبياناً لكل شيء ، قال سبحانه : (. . . ونز"لنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء . . . ، النحل / ٨٩. (. . . ما فر"طنا في الكتاب من شيء . . . ، الأنعام / ٣٨ .

فقد حمل القرآن للناس: أفضل ما تحلم به شعوب العالم ، في مجال العقيدة ، والتشريع ، والأخلاق ، مما يحقق للفرد والجماعة السعادة في الدنيا والآخرة . كما قال الرسول مَنْ الله عنها الله الماليا والآخرة) .

ولقد حققت رسالة القرآن الكريم نهضة حضارية إنسانية . شاملة كاملة ، غيرت مجرى الحياة ، وستظل الأماني الحضارية للشعوب تصبو نحوها وتحاول الرقى اليها .

إن هـذا الشمول الشخصي والزماني والمكاني والموضوعي الذي احتواه القرآن الكريم يقوم حجة قاطمة على صدق دعوى الرسول الصادق الأمين إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الله تعالى : بعثه هادياً للبشرية قاطبة إلى يوم الدين .

ومنه يتبين:أن المعجزة تتناسب – طردياً – مع المنصب الالهي الذي يدعيه صاحب المعجزة، فحيث بشتر رسول الله يتمايين برسالة شاملة مستمرة فقد جاء بمعجزة هي كبرى المعجزات وباقية خالدة ما بقي النوع الانساني .

المطلب الرابع التحدي في القرآن

من دلائل الاعجاز في القرآن ، وكونه وحياً من الله تعالى ، أنه كتاب هداية ويتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله ...

ولو تأملنا هذا التحدي الذي أعلنه القرآن الكريم ، لوجدنا له صورتين :

الصورة الاولى ـ موضوع التحدي :

لقد تحدى القرآن أن يؤتى عِنْه ، بقوله تعالى : « فليأتوا بجديث مثله إن كانوا صادقين ، الطور / ٣٤. وتحدى أن يؤتى بعشر سور من مثله بقوله تعالى: « . . . قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات . . . ، هود / ١٣ . وتحدى أن يؤتى بسورة واحدة : صغيرة أو كبيرة ، في التشريسع أو في العقيدة ، في القصص أو في الأخبار ، أو في أي موضوع طرقه القرآن بقوله تعالى : « أم يقولون افتراه

قل فأتوا بسورة مثله ... » يونس / ٣٨ . ثم كرر التحدي بقوله : « وإن كنتم في ريب بما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ... » البقرة / ٢٣ . ثم قال تمالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ... » البقرة / ٢٤ . (فنفي القدرة لهم على ذلك بقضية عـــامة وأمر حتم لا تردد فيه ... وهذا هو النهاية في بلوغ التحدى) (١٠) .

الصورة الثانية _ جهة التحدي :

وجّه القرآن الكريم التحدي إلى الإنس والجن ، في أظهر مظاهر قوتهم ومنعتهم : وهم مجتمعون ، ولكون بعض الاجتاعات تحصل بالأجسام مع تشتت الآراء والرغبات ، فأضاف القرآن صفة أخري ، تشديداً في تحديهم وإظهاراً لمجزهم هي : تظاهرهم أي تآزرهم وتعاونهم في ذلك الاجتاع .

وليس هذا فحسب بل أضاف القران إلى تحديه الثقلين مجتمعين ومتعاونين : شهداءهم من دون الله ، فقد كانت العرب تزعم أن آلهتها تشهد لها يوم القيامة بأنها على حق ...

ووقف العرب في دهشة وإعجاب ، وإكبار وإعظام ، أمام بلاغة القران الكريم وفصاحته ، وغرابة اسلوبه في الجمع بين الفخامة والعذوبة ، وسلامة نظمه واعتدال تركيب مفرداته ، لفظاً ومعنى ، وتناسق حركات حروفه ، وهو في كل ذلك : أوله كآخره ، ووسطه كطرفيه ، بل ولجأوا إلى وسائل العنف والوقيعة برسول الله علي في وتعذيب المسلمين ، واستنفار المشركين ، وحشد قواهم ، عند ذاك نادي : وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بعثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » سورة الاسراء / ٧٨ . فإن قيل (إنما وقع العجز في الإنس دون الجن . فالجواب : أن الجن ليسوا من أهل

⁽١) العلوي اليمني الطراز ج ٣ / ٣٧٠.

اللسان العربي الذي جاء القران على أساليبه ، وإنما ذكروا في – الآية – تعظيماً لشأنه، لأن للهيئة الاجتاعية من القوة ما ليس للأفراد، فإذا فرض اجتاع الثقلين وظاهر بعضهم بعضاً ،وعجزوا عن المعارضة ، كان الفريق الواحد أعجز) (١).

ولما لم يكن التحدي موجها للإنس دون الجن ، أو الثقلين دون الآله المزعومة ، أو لهؤلاء جميعاً في فترة دون الفترات الزمانية التالية ، وقد وقع التحدي ولا يزال ولو بسورة واحدة - موضوعاً - وإلى كل اولئك وسواهم - جهة - وقد توالت ألف وأربعائة سنة وظهر من الناس ما شاء الله ، ومن الآلمة والأرباب البشرية والحجرية ما شاءت الأهواء...ولم يقو أحد على مجاراة القران ، في أي وجه من وجوه إعجازه - التي سنذكرها فيا بعد إن شاء الله - ثبت بذلك ، قصور جميع تلك القرى عنه ، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا .

المطلب الخامس وجوه الإعجاز في القرآن

القرآن معجز في كل وجه من وجوهه ، وحال من أحواله ، بداية ما نزل منه كآخر ما انتهى اليه ، ووسطه كطرفيه : نسيج فريد ، ونسق واحد ، ومستوى شاهتى . هو معجز في حركات حروفه ، وحروف كلماته ، وكلمات آياته وآيات سوره ، وسور مصحفه ، معجز فيا أخبر وفيا أنبأ ، وفيا أمر ونهى وفيا قرر ونفى ، معجز في الصياغة والنظم الموزون ، وفي التراكيب والمضمون . لا في عصر دون سائر العصور بل للجن والانس إلى يوم يبعثون .

⁽١) وقال بعضهم : بل وقع للجن أيضاً والملائكة منوبون في الآية ، لأنهم لا يقدرون أيضاً على الاتيان بمثل القرآن ، وقال الكرماني في غرائب التفسير إنها اقتصر في الآية على ذكر الجن والانس لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة) أنظر : معترك الاقران في اعجاز القران للسيوطي . القسم الأول ص ٧ .

ولا أظن أن أحداً من العلماء والباحثين ، من القدامى والمحدثين ، أحاط علماً بما في القرآن الكريم من وجوه الاعجاز (وكيف يستطيع الممكن أن يدرك كلام الواجب) (١) . وغاية ما أدركوه أنفسهم أنهم وقفوا على وجوه للاعجاز في القرآن ذكروها في مباحثهم ، وهي قصارى جهدهم ، ومبلغ علمهم .

ومن اليقين أنه كلما تقدم الزمن ، وعكف الباحثون على دراسة القرآن ، كلما ظهرت وجوه اعجاز جديدة لم تكن معروفة من قبل. ولعلنا نشير إلى هذا فيا بعد .

وقديماً (سئل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز في القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف على المفتى وذلك أنه شبيه بقولكم: موضع الانسان من الانسان، فليس للانسان موضع من الانسان ... وكذلك القرآن، لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوله ، وأهدى لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه ، فلذلك حارت المقول ، وتاهت البصائر عنده) (٢).

وعليه فإن تحديد بعض العلماء (٣) وجوه الاعجاز في القرآن الكريم، إن هي إلا وجوه إعجاز فيه القرآن ، وليست وجوه الاعجاز فيه ، لأنها غير منحصرة فيا ذكروه ، بل هو كما قال تعالى :

⁽١) الخوئي : البيان ص ٢٠ .

⁽٢) السيوطي : معارك الأقران ج ١ / ١١ ، الانقان : ج ٧ / ١٠٠ .

 ⁽٣) قال الباقلاني : وجه إعجازه : ما فيه من النظم والتأليف والتوصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ومباين لأساليب خطاباتهم .

وقال الزملكاني : وجه الاعجاز راجع إلى التأليف الحاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته؛ تركيباً وزنة،وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والممني.

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاجة ألفاظه . أنظر : السيوطي : الانقان ج ٢ / ١١٩ .

د ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدُّهُ من بعده سبعة أبحُر مـــا نفيدَتُ كلمات الله إن الله عزيز حكيم ، لقهان / ٢٧ .

ولسنا - الآن - بصدد استقصاء وجوه إعجاز القرآن التي ذكرها العلماء ، وصنفوا فيها المؤلفات (وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين)(١) وإنما سنرتاد بعض رياض إعجازه (٢) لنستنشق من عبير نفحاتها العاطرة، ما يبعث فينا الحياة ويوقظ فينا العزم ، المضي قدماً - من جديد - نحو جعل كتاب الله تعالى مناراً نستهديه ، ومنهجا نلتزم به ، وصراطاً مستقيماً إلى الله تعالى نسلكه من أجل بلوغ كرامة الدارين ، وسعادة النشأتين .

١ ـ بلاغة القرآن وفصاحته:

التأريخ لا يرتاب أن المرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغاً لم يذكره التأريخ لواحدة من الامم المتقدمة عليهم ، والمتأخرة عنهم ، ووطؤوا موطئاً لم نطأه أقدام غيرهم، في كال البيان ، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ ، ورعاية المقام، وسهولة المنطق (٣) .

وحيث كانت العرب قد شأت هذا الشأو البعيد في أساليب البلاغة ، وفنون الأدب ، رجالاً ونساء ، فلهذا السبب ، تحد اهم القرآن ، وهم على ما هم عليه من قدرة في البلاغة لا تدانى ولا تضارع ، وقوة في البيان لا تضاهى ولا تبارى وسرعة في البداهة لا تجارى ، مع ما تخلقوا به من عزائم وحمية وهم وعصبية ، والقرآن طيلة ثلاث وعشرين سنة – تقريباً – يقرع أسماعهم ، بأنهم عاجزون عن مباراته ، فيا جاء به من كلام قَرَنَ بين الإيجاز والبلاغة ، والبيان والفصاحة عن مباراته ، فيا جاء به من كلام قررَن بين الإيجاز والبلاغة ، والبيان والفصاحة

١) السيوطي: معترك الأقران ج ١ / ٣ .

⁽٢) انظر أعل أنواع الاعجاز : الزركشي ، البرهان ج ٢ / ١٣١ .

⁽٣) الطباطبائي: الميزان ج ١ / ٦٦.

وهو بلسان عربي مبين ، ليس شمراً ولا نثراً ، يفهمه العرب ، وهو خــــارج عن مألوفهم .

ومع هذا التحدي المثير المهيج، ما استطاعوا إلا النفور والالتجاء إلى خوض الحروب، وبذل الأنفس والأموال، لصد دعوته، دونما جرأة على مجاراته. فلما لم تحصل معارضة منهم، تحقق أنهم عاجزون عنها (لأن كل من توفرت دواعيه الى الشيء ولم يوجد مانع منه، ثم لم يتمكن من فعله، فإنه يكون عاجزاً لأنه لا يكون معنى للعجز إلا ذاك) (۱).

وقال الطبرسي: إن كل فعل لا يقع من فاعله ، مع توافر دواعيه ، وقوة بواعثه عليه ، فإنه يدل على تعذّره ، فإذا ثبت ذلك ، وعلمنا أن العرب تحدّوا بالقرآن ولم يعارضوه ، مع شدة حاجتهم إلى المعارضة ، وقوة دواعيهم ، علمنا أنها متعذرة عليهم (٢) .

وإذا ثبت عجز العرب ، وهم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء وفرسان هذا الميدان ، ثبت إعجازه البلاغي ، وكان حجة عليهم ، وعلى من سواهم من باب أولى .

وفيما يلي أمثلة مما جاء في القرآن الكريم من البلاغة :

ا ـ قال تعالى : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ...» الأنبياء / ١٨ . وفيها : كأن الحق ـ وهو معنى مجرد ، ولعظم شأنه ـ قذيفة ثقيلة ، ترمى على الباطل الهش الواهي ، فيرديه جثة هامدة ، وقد استخدمت في هذا المشهد العظيم ، للصراع بين الحق والباطل (الفاء) التعقيبية ، ولم تستخدم (ثم ") ، أو غيرها ، لطي " المشاهد بسرعة ، وبيان قدرة الحق الفائقة على دمغ

⁽١) العلوي اليمني : الطرازج ٣ / ٣٧١ .

⁽٢) أعلام الورى بأعلام الهدى : ص ٣٠ .

الباطل ، والسرعة الخاطفة التي تم خلالها إزهاقه . والازهاق هو خروج الروح لبيان حتمية انهيار الباطل ، وانعدام وجوده ، وبطلان أثره .

ولقد أجاد السيد الرضي حين لاحظ أن (الدمغ إنمــــا يكون عن وقوع الأشياء الثقال ، على طريق الغلبة والاستعلاء ، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه) (١).

ب ـ قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَلْقُوا فَيْهَا سَمُوا لَمَّا شَهِيقًا وَهِي تَفُورَ تَكَادُ تَمَيْرٌ مِنَ اللَّهُ ﴾ ٧ – ٨ .

والآية تتحدث عن أهل النار . وعملية « الإلقاء » تجسيد لمشهد مروع مجد ذاته ، تحس مجركته متجسمة بمنظر إلقاء المجرمين في النار . وهي حانقة عليهم، تجذبهم اليها بشهيقها ، وهم مروعون ، يسمعون ذلك الشهيق المرعب ، فتخلع له قلوبهم ، قبل أن تلتهمهم ألسنتها ، ويحرقهم لهبها ، ويشويهم مهلها وقطرانها . . .

ولقد استوقفت هذه الصورة الرائعة المرعبة السيد الرضي ، فذكر أن الله تمالي (وصف النار – نعوذ بالله منها – بصفة المغيظ الفضبان ، الذي من شأنه – إذا بلغ ذلك الحد" – أن يبالغ في الانتقام ، ويتجاوز الفايات في الايقاع والإيلام) (٢) .

ج .. قوله تعالى : « ُخذِ المفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . الأعراف / ١٩٩ .

جمت هذه الآية جميع مكارم الأخلاق لأن العفو:الصفح عمّن أساء، والرفق في كل الامور والمسامحة والاغضاء . وفي قوله (وأمر بالمعروف) صلة الأرحام ،

⁽١) تلخيص البيان في مجازات القرآن : ص ١٤١ .

⁽٢) المصدر السابق ص ٢٥٣.

ومنع اللسان عن الكذب والغيبة ، وغض الطرف عن كل محرم وغير ذلك ، وفي الاعراص عن الجهال ، الصبر والحلم وكظم الغيظ ، فهذه الألفاظ وان قلتت فقد أنافت معانيها على الغاية ، ولم تقف على حد ونهاية ، وهذا النوع أعلى طبقات الفصاحة مكاناً ، وأعوز إمكاناً (١) .

د ـ قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي القَصَاصَ حَيَاةً . . . ، البقرة / ١٧٩ .

وبالموازنة بين هذه الآية وما أثر عن العرب من قولهم (القتل أنفى للقتل) تتميز هذه الآية بامور منها : أنه ليس في الآية ما في العبارة من تكرير. وألفاظ الآية تعكس روح الإسلام السلمية والعبارة تنضح بالدم . والآية تقرر الحياة في القصاص ، فهي تامة وواقعية . أما العبارة فليست تامة لأنه ليس كل قتل نافياً للقتل إلا إذا كان قصاصاً ، فشتان ما بين الآية والعبارة .

ه ـ قوله تعالى : « ومن الناس من يعبـ د الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحسران المبين ، الحج / ١١ .

إن القرآن الكريم كا يصور ببلاغة أسلوبه المعاني المجردة فإنه يصور الحالات النفسية والمعنوية . . . فيرسم لهذا التزعزع صورة تهتز وتترنح وتوشك على الانهيار . . .

إن الخيال ليكاد يجسم هذا (الحرف) الذي يَعبدُ الله عليه هذا البعض من الناس ، وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب . إن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع لأنها تنطبع في الحس وتتصل منه بالنفس) (٢) .

⁽١) العاوي اليمنى: الطرازج ٢ / ٢٧٠.

⁽٢) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ٤١ – ٤٠ .

وهكذا ، فإن مسا ورد في القرآن الكريم من الاستمارات والجمازات والمحازات والكنايات والتمثيل والإيجاز والتورية وغيرها الشيء الكثير . ومن أرادها فليراجعها في مظانسها (١) .

وبحمل القول أن القرآن - في مجال البلاغة - بلغ مرتبة لا تدانى (٢) وهذا من عجيب أمر القرآن .

🗙 ٢ ـ المعارف القرآنية :

نجد في القرآن الكريم من الممارف الاعتقادية ، ما يطابق العقل السليم ويوافق البرهان القويم ، فقد تمرض إلى صفات الله تمالى ، وذكر الأنبياء والرسل السابقين وأقام الدلائل على المعاد ، باسلوب عقلي رصين ، يستحيل معه على بشر – أمي كالنبي كالنبي كالنبي ما في بيئة جاهلية ، مشركة وثنية ، أن يأتي بمثله ، وبها احتوى من فلسفة شاملة كاملة ومن دون سبق تعلم أو دراسة :

ر ا ـ صفات الله :

جاء في القرآن الكريم : « و إله كم إله " واحد" لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » البقرة / ١٦٣ .

⁽١) راجع السيوطي: الاتقان ج ٧ / ٣٦ وما بعدها. الباقلاني: اعجاز القرآن ص ٢٦٢ - ١٠ ابن الزملكاني: التبيان في علم البيان . اليمني العادي: الطواز المتضمن لأسرار البلاغة.

⁽۲) جاء في النقل محاولة مسيلة الكذاب. معارضة سورة الفيل . فكان هذيانه : (الفيل، ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذفب وبيل ، وخرطوم طويل) الطباطبالي ، الميزان : ج ١ / ٦٧ . كما حاول بعض النصارى معارضة سورة الكوثر فقالوا : (إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تعتمد على قول ساحر ...) الحوثي : البيان ، ص ١١٧ ، نقلا عن كتيب أصدرته المطبعة الانسكليزية – الأمريكية ١١ ببولاق مصر سنة ١٩١٧ .

راجع إن شئت أسئلة الملاحدة عن إعجاز القرآن والجراب عليها : العلوي اليمني : الطراز ج ٣ / ٣٧٣ وما بعدها .

﴿ أَمْ خَلِقُوا مِن غَيْرِ شِيءَ أَمْ هُمُ الْخَالَقُونَ ﴾ الطور / ٣٥ .

« هو الله الحالق الباريء المصوار له الأسماء الحسنى يسبِّح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ، الحشر / ٢٤ .

و بديم السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كنن فيكون ،
 البقرة / ١١٧ .

فهل بإمكان بشر أمي أن يأتي – من عنده – بمثل هذه الفلسفة ، وهذه الممارف التي يعنوا لها العقل إذعاناً وتسليماً .

إِن قُولِه تَعَالِى : ﴿ أَمْ خَلِقُوا مَنْ غَيْرِ شَيْءَ أَمْ هُمَ الْخَالَقُونَ ﴾ يقرر البديهيات الآتية :

- الانسان موجود (بالحس والوجدان) .
 - الانسان حي" (بالحس والوجدان) .
- الانسان لم يخلق من عدم (لأن الوجود من العدم محال) .
- الانسان لم يخلق نفسه (لأنه لو كان موجوداً لاستغنى بوجوده عن إيجاده) .
- فلا بد له من خالق ، وهــــذا الخالق حي ... وهذا دليل وجود الله تعالى .

ومن الأدلة على وحدانية الله الدليل العقلي في قوله تعالى :

و لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ... ، الأنبياء / ٢٢ ، لأنه لو فرض للعالم سانعان لاختلت وحدة النظام الكوني المشاهدة المحسوسة . ولكان العجز يلحقها أو يلحق أحدهما ، وبيان ذلك : لو أراد أحد الصانعين إبقاء حي وأراد الآخر إمانته ، فاما أن تنفذ إرادتها وهذا مستحيل لتناقضها ، واما أن لا تنفذ

ارادتهما فيؤدي إلى عجزهما معاً ، واما أن لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه ، والإله الصانع لا يكون عاجزاً . وبهذ تثبت وحدانية الله تعالى .

وهكذا نجد في الآية محاججة عقلية رصينة لا يملك الماقل ازاءها إلا الإيمان بنبو ة محمد ﷺ والتصديق برسالته .

ب ـ ارسال النبيين :

جاء في القرآن الكريم :

وكان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكناب بالحق ليحكم بين الناس فيا اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » البقرة / ٢١٣ .

ج - المساد:

ومما جاء بشأن المعاد قوله تعالى :

- « ومـــا خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ان الله سميع بصير » لقمان / ۲۸ .
 - د ... قل الله يبدؤ الخلق ثم يميده فأنى تؤفكون ، يونس / ٣٤ .
 - د ... كما بدأنا أول خلق نعيده ... ، الأنبياء / ١٠٤ .
 - د لحلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس . . . ، غافر / ٥٠ .
- و يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ... »
 الحج / ٥ .

(إن الابتداء إيجاد من غير احتذاء ، قمن هو قادر على الابتداء كان أولى أن كون قادراً على الاعادة بطريق الأحق") (١١) .

٧ ـ استقامة بيان القرآن :

أومن دلائل الاعجاز في القرآن وكونه وحياً إلهياً: ما جاء به من معالم الرشاد الهداية ، كالحقائق الالهية والنبوءات ، وما وضع من قواعد تشريعية في مجالات لاقتصاد والسياسة والاجتاع والتجريج والعقاب ، وغيرها ، وما أورد من نظم لعبادات وفضائل الأخلاق، وما سرد من أحداث التاريخ ، وما عرض من علوم كونية وفلكية وطبيعية ، وما ضرب من أمثلة ، وساق من حكم ومواعظ ، وما ذكر من احتجاجات عقلية مذهلة ، وما بين من تصوير للدنيا ووصف يما ذكر من احتجاجات عقلية مذهلة ، وما بين من تصوير للدنيا ووصف لشاهد البرزخ والقيامة ، ونحو ذلك ، وهو ينزل نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، في ظروف متفاوتة : ليلا ونهاراً ، في مكة والمدينة ، في الحرب والسلم ، الحنة والرخاء ، في عام الفتح وعام الحزن ، وعلى سعة ما جاء به فليس فيه ادنى اختلاف أو تعارض أو تناقض من أوله إلى نهايته .

ولو لم يكن القرآن روحاً من أمر الله لاقتضى حدوث الاختلاف والتمارض والتفرق وعدم الملائمة بين أجزائه ومباحثه . فإن الشاعر المربي ينظم القصيدة حولاً ثم يعيدها فيجد الحشو والزيادة والنقصان ونحو ذلك .

د أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــه اختلافاً
 كثيراً ، النساء / ٨٢ .

٤ ـ تشريعات القرآن :

عما يدهش كل عاقل ، ولا يمكن تعليله إلا بكون القرآن وحياً من العلم الحكيم ، هو هذا التشريع الأمثل للانسانية ، والقانون الأقوم للحياة ، الذي

⁽١) العلوي اليمني : الطراز ج ١ / ٥٥٠ .

جاء به لتنظيم شؤون المجتمع البشري، وكلما مر" قرن وجاء آخر، أثبت القرآن أصالته وشموله للهيمنة على جميع شؤون الحياة ، على أحسن وأكمل وجه .

وليس من شك أن العرب بخاصة ، وأمم الأرض بعامة في عهد فجر الإسلام لم تكن تملك من الأنظمة والقوانين ما عليه دول العالم اليوم . فإذا ما وازنا أنظمة الدول الحديثة وما جاء به القرآن الكريم – قبل ألف وأربعائة سنة – من مبادىء الحق والعدل والمساواة والحرية، والدعوة إلى السلام، ومكافحة الظلم والفقر والترف والجهل ، والتمييز العنصري ونحو ذلك ، بما أخذت الدول المتحضرة الحديثة على نفسها الالتزام به ، في دساتيرها وقوانينها ، وهدفت إليه المنظهات والمؤسسات الدولية في خططها وبراجها ، لا تضح مدى تفوق القرآن الكريم من جهة ، وسبقه وكال ما جاء به من جهة أخرى . ولما بقي شك أن ما جاء به الرسول الأعظم من المنظمة يكن إلا من عند الله الخبير البصير .

وحسبنا ، أن نشير فيما يلي ، إلى بعض القواعد الكلية ، التي أصبحت اليوم من مبادىء دساتير الدول ، ومواثيق المنظهات والاتفاقات الدولية ، دون أن نتوغل في بيان دلالاتها وعمقها وشمول أحكامها :

أ ـ الحكم بالعدل :

قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل . . . ، النحل / ٩٠ .

« . . . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . . » النساء / ٥٨ .

ب ـ حقن الدماء :

، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق . . . ، الاسراء $^{\prime}$. $^{\prime}$

و ... أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميماً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميماً ... و المائدة / ٣٢ .

ج - تحريم الفساد:

وقل إنما حرَّم ربي الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن والإثمَ والبغيُّ بغير

الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينز"ل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » الأعراف / ٣٣ .

د ـ جعل المسؤولية شخصية :

< ... ولا تزر وازرة وزر أخرى ... » الأنمام / ١٦٤ .

تفضيل السلم على الحرب:

و وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ... ، الأنفال / ٦٦ .

و ـ تشريع الدفاع قطماً لدابر الفتنة والعدوان :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله › فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » البقرة / ١٩٣ .

ز ـ فرض المساواة ، وجعل التفاضل على أسس موضوعية متاحة للجميع هي التقوى والعلم والجهاد :

- و ... إن أكرمكم محند الله أتقاكم ... ، الحجرات / ١٣.
- « . . . قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . . . » الزمر / ٩ .
- د ... د وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، النساء / ٩٥ .

ولقد جاء القرآن الكريم بالأحكام الاعتقادية ، والأخلاقية والعلمية التي تشمل العبادات والمعاملات سواء ما تعلق منها بتنظيم أحكام الاسرة كالنكاح والطلاق والارث،أو الأحكام المالية ، كالبيع والرهن وسائر العقود، وأحكام القضاء والشهادات واليمين وأحكام الجرائم والعقوبات ، وأحكام نظام الحكم وحقوق الحاكم والمحكومين وواجباتهم ، وأحكام العلاقات الدولية من معاهدات واتفاقات في حالتي السلم والحرب، وأحكام الأجانب، والأحكام المتعلقة بموارد الدولة ، ومصارفها ، والثروات العامة ... الخ .

فإذا جاء القران بما يكفل جميع احتياجات الانسانية في كل صعيد ، وعلى

كل مستوى ، فهل يخطر ببال عاقل أن من صنع أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولم يتعلم من أحد ؟ اللهم إلا من العلي القدير « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . . . ، الشورى / ٥٣ . « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطئه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » العنكبوت / ٤٨ .

قصص القرآن وأنباؤه الغيبية :

انطوت السور القرآنية على كثير من أخبار القرون الاولى والامم الغابرة والشرائع الداثرة ، منذ بدء الخليقة حتى بعثة النبي ﷺ ، في وقت لم يكن يعرف القصة الواحدة إلا المتفرغ من أحبار أهل الكتاب .

والقران الكريم في عرضه تلك الأحداث ، وسرده تلك الوقائع ، كأنه شاهد عيان يعرض التفاصيل ، ويصوّر كل المشاهد تصويراً كأنها شخوص متحركة .

وفي القرآن إخبار بالمغيبات عن أمور هامة ، وقد وقعت هذه الامور كلها وكما أخبر عنها . وفي كل حال يؤكد القران على عدم علم النبي ﷺ بهذه الامور قبل أن توحى إليه :

قال تعالى : « تلك من أنباء الفيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا . . . » هود / ٤٩ . وقوله سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص بها أو حينا اليك هذا القران وإن كنت من قبله لمن الغافلين » يوسف / ٣ .

ا - القصص:

قصة آدم :

قال تمالى : « ولقـــد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » الأعراف ١١ .

قصة موسى : « وإذ قال موسى لقومه أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... » البقرة / ٦٧ .

قصة هارون : د . . . وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي . . . » الأعراف / ١٤٢ .

قصة فرعون : ﴿ إِن فرعون علا فِي الأرض وجعل أهلها شَيَعاً يستضعف طائفة منهم يُذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين » القصص / ٤ .

قصة داود وسليان : « وداود وسليان إذ يحكمان في الحرث ... » الأنبياء / ٨٧ .

قصة ابراهيم: «أم تقولون أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصاري قل أنتم أعلم أم الله ... » البقرة / ١٤٠ ·

وهكذا بالنسبة إلى زكريا ويحيى وعيسى ونوح وهود وشعيب وسائر الأنبياء والمرسلين ، ومسك ختامهم :

قصة محمد ﷺ : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبلهِ الرسل . . . » آل عمران / ۱٤٤ .

ب _ الأنباء الغيبية ،

كان القران واثقاً جازماً من وقوع الأحداث المهمة التي أنباً عن وقوعها ، وقد وقع جميع ما أنباً به ، دون أدنى خلاف .

ولا ريب أن هذا الجانب من جلائل وجوه إعجازه ، ودلائل كونه وحياً من الله تعالى .

قال تعالى : « غلِبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . . . » الروم / ۲ – ۳ . ولقد وقع الغلب للروم بأقل من عشر سنين وهو معنى (بضع) سنين .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنَ جَمِيعَ مَنْتُصِرُ سَيُهُوْمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبُرِ ﴾ القمر / ٤٤ – ٤٥ نخبراً عن قول أبي جهل يوم بدر : ﴿ نَحْنَ نَنْتُصُرُ النَّيُومُ مَنْ مُحْمَدُ وَأُصْحَابُهُ ﴾ فأباده الله ﴾ وأخزى جمعه ونصر المسلمين .

وقال سبحانه: « وإذ يمدكم الله إحدي الطائفتين أنها لكم ... » الأنفال /٧ وقد نزلت في واقعة بدر ، والمسلمون على ما هم عليه من الضعف والقلة ، والاشفاق من الهزيمة ، والكافرون على ما هم عليه من العدة والعدد ، وقد وفتى الله للمؤمنين بوعده ، ونصرهم وقطع دابر الكافرين .

وكقوله تعالى : د ... لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ... ، الفتح / ۲۷ .

وكقوله : ﴿ لَنَ يُضَرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى . . . ﴾ آل عمران / ١١١ .

فالأخبار بالغيب ، وتحقق صدقه ، لا يكون من بشر إطلاقاً ﴿ إِن هُو إِلاَّ وَحِي يُوحِي عَلَمُهُ شَدِيدُ القوى ﴾ النجم / ٤ – ٥ .

٢ - الاشارات العلمية :

ذكر القرآن الكريم في معرض الاستدلال والاحتجاج ، وبيان دلائل وآيات قدرة الله تعالى ، بعص الاشارات العلمية التي لم يكتشف أمر بعضها إلا في عصر الذرة ، والأقار ، وغزو الفضاء . منها قوله تعالى :

أ ــ ﴿ أُوَامُ بِرَ الذِّينَ كَفُرُوا أَنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ كَانَتَا رَبَّقًا فَفَتَقْنَاهُمُـــا وَجَعَلْنَا مِنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ ا

وفيها إشارة إلى تاريخ المجموعة الشمسية ، ووحدتها في الأصل ، وانفصال الأجرام بعضها عن بعض تدريحياً .

كما أن فيها إشارة إلى أصل الحياة وهو الماء .

ب - « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » الحجر / ٢٢ .

وتشير الآية إلى دور الرياح في هطول الأمطار ، ودورهـ في التفريغ الكهربائي بين شحنات السحاب ، ودورها في نقل لقاح النبات . . . الخ .

ج - د فسلا أقسم برب المشارق والمغارب ... ، الممارج / ٤٠ ، د رب المشرقين ورب المغربين ، الرحمن / ١٧ ، د والأرض بمد ذلك دحاها ، النازعات / ٣٠ ، وفيها إشارة إلى بيضوية الأرض إذ لو كانت مُسطَّحة لكان لها مشرق واحد ومغرب واحد . وكذلك عبر تعالى عن خلق الأرض بـ (دحاهـا) والدحية هي البيضة .

د - « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » الذاريات / ٩٩ . وفيها إشارة إلى أن الزوجية منبثة في كل الموجودات من حيوانات ونباتات وجادات . وإن الذرة زوج ففيها الالكترون السالب الشحنة والبروتون الموجب الشحنة .

هـ « يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليرواً أعمالهم » الزلزلة / ٣ . فإن فلم
 المشواف أثبت إمكانية حفظ وتخليد دقائق الأعمال .

و إذا كان هذا من عمل الانسان فالأمر أيسر وأهون بالنسبة للخالق البارىء المصور .

و 🗕 ﴿ تَعْرِجُ ۗ الْمُلائكَةُ وَالرُّوحِ اللَّهِ . . . ﴾ المعارج / ٤ .

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
 وهو الرحيم الغفور » سبأ / ۲ .

د ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون » الحجر / ١٤ .

و ممارج عليها يظهرون ، الزخرف / ٣٣ .

وفيها إشارات إلى فتح باب الأسفار الفضائية وعلى أنها تتم بمسارات منحنية وليست مستقيمة. فإذا ما قدر للناس القيام برحلات إلى القمر أو سائر الكواكب فإن سيرهم سيكون باتجاهات منحنية أو منعرجة .

i = i بلى قادرين على أن نسو"ي بنانه i القيامة i

من دقائق الخلقة بصات الأصابع ، وقد ذكرت هذه الآية الكريمة حقيقة علية مذهلة كان لها أخطر الأدوار في العلوم الجنسائية ، تلك الحقيقة هي اختلاف بصات أصابع اليد الواحدة ، فليس في الدنيا اصبع يشبه في خطوطه اصبعاً آخر .

والجدير بالذكر أن الآية -. كسائر الآيات – ليست بصدد إعطاء وسيلة فذة لرجال المباحث الجنائية ، ولكنها بصدد بيان عظمة وقدرة الله على البعث والنشور بكل دقة حتى إعادة خطوط أصابع كل انسان إلى ما كانت عليه في حياته . ولكن هذه الآية – كسائر الآيات – أمكن الافادة منها علمياً .

هذه الوجوه من الاعجاز (۱) وإن كانت مستحيلة بالنسبة لبشر مجرد ، كا ثبت ذلك ، وتحقق العجز من لدن بعثة النبي ﷺ حتى يومنا الحاضر ، إلا أنها غير مستحيلة عقلا ، لأن الرسول ﷺ وإن كان بشراً ولكن ما جاء به ليس من عنده وإنما من عند الله تعالى .

فهذه الوجوه من الاعجاز في القرآن جاء بها رسول الله لا باعتباره الشخصي وكونه بشراً كسائر الناس ، بل باعتباره الوظيفي وكونه يمتاز عن سائر البشر بصلته بالله تمالى لأنه رسول من الله القادر على كل شيء .

وكفى بواحد من هذه الوجوه دليلاً على صدق رسالة النبي ﷺ وشاهداً على ما جاء به من عند الله .

⁽١) للوقوف على المزيد من معجزات القرآن العلمية راجع : الاستاذ نوفل ، الله والعلم الحديث ص ١٥٥ ، الفندي : الدكتور محمد جمال الدين روائع الاعجاز في القرآن الكريم . وغيرهما من الكتب الحديثة .

المبحث الثالث

القرآن الهدايـة المثلى

إن ألزم الامور التي ينبغي أن يعلمها الانسان ، هي معرفة مبدئه ومعاده . وإن أحط ضروب الجهل ، أن يجهل الانسان من أين بدأ حيـــاته ، وإلى أين سيصير .

وليست على وجه الأرض فلسفة شاملة ، تفسر لنا الكون والحياة والانسان على أسس لا يملك العقل السليم إلا الإذعان لها، والانقياد اليها، كالفلسفة الإسلامية الفذة ، التي لا تدع مجالاً للربية أو الشك ، في قوة حججها وبراهينها، لمن ألقى السمع وهو شهيد .

والقرآن الكريم في فلسفته عن الكون وألحياة والانسان ، سمق سموقاً بعيداً عن خرافات (الطفرة) ، و (الصدفة) ، و (تنوع الأنواع) ، و (القول بالمادة) ، ونحوها من المقولات التي جاءت عليها المكتشفات الحديثة، والتجارب العلمية ، ورمتها في زاوية الأفكار البائدة ، والنظريات الكاسدة .

في حين أكدت هذه التجارب والمكتشفات ، كل ما أشار اليه القرآن ، من أمهات العلوم ، وصدقته فيما ألمح اليه من عجائب الامور .

وليس على وجه الأرض ، كتاب دين مثل القرآن ، يدل على العلم ، ويدعو اليه ، ويثبت عليه ، ويحث على الاختراع والاكتشافات ، والبحث والتحري ، ويجل العلماء ، ويرفع مكانتهم ، ويعلي شأنهم .

والعلم الذي يدعو اليه القرآن ، هو علم نافع ، سواء علم الأديان أو المقائد أو العبادات أو علم الأبدان ، أو علم طبقات الأرض، أو علم الأجنة ، أو علم الصحة الغذائية أو الوقائية ، أو علم الفضاء ، أو غيرها من العلوم التي تطرقت اليها الآيات الكريمة والتي لا مجال لبيانها في هذا الموجز .

وبما يمتاز به القرآن الكريم على كتب الأديان البحتة ، وكتب العلوم البحتة ، أنسه يوحد ويربط بين دقائق المخلوقات ، وعجائب الكائنات ، وبين الصانع القادر جل شأنه من حيث الخلق والتدبير والتصرف والتنظيم ووحدة الإرادة والقصد والنظام .

إن تحطيم الذرة قد حطم كل فكرة لا تتصل بالله تعالى، لما في الذرة من قوى هائلة ، ونظام دقيق ، سبق للقرآن الكريم أن سجّل كشفاً عنها يذهل العقول حين أشار إلى الزوجية في كل شيء ، وكان العلماء يعتقدون جازمين أن الذرة أصغر ما في المادة .

وفي عصر كان العالم فيه يغط في سبات عميق ، أوضع القرآن الكريم ، ما أودع الله تعالى في الانسان من قدرات ، تؤهله لغزو الفضاء وتسخير الكواكب والشموس ، وجميع الطاقات الكونية لصالح البشرية ، لأن الله تعالى أخبره : انه جل شأنه سخر للانسان جميع ما في الساوات والأرض لخدمة مصالحه في كثير من الآيات .

وإن تمزيق شرنقة الجمود الفكري والعلمي ، والصعود إلى القمر وغزو المريخ وغيرها ، ليكشف جلياً عن دقيق صنع الله تعالى وحكمته ، في تدبير الكون ، وعظمة سلطانه من جهة ويكشف عن مدى التفوق العلمي والمتقدم الحضاري الذي تضمنه القرآن وهيأه للبشرية ، في سبيل هدايتها ، وإرشادها لما يسعدها .

ومن الملامح البارزة في القرآن ، أنه لم يمول في مجال هدايته على أمر مثل تمويله على القضايا العلمية الكبرى . ففي القران الكريم مثات الآيات الهادفة إلى هداية الانسان الى ربه الكريم ، ولكنها تتعرض إلى أخطر وأدق النواحي المتعلقة بالطبيعة ، أو الحيوان أو النبات في سياق التدليل على عظمة الله ووحدانيته ، ولزوم شكره وطاعته واتباع منهجه المنزل وشربعته الغراء .

فمن الآيات التي وردت في سبيل هداية الانسان وتضمنت كبريات المسائل العلمة قوله تعالى : « خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين القمان / ١٠ - ١٠ .

وقوله سبحانه:

« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر َ ولا الليل ُ سابق النهار وكل ُ في فلك ِ يسبحون ، يس / ٤٠ .

« سبحان الذي خلق الأزواج كلها نما تنبت الأرض ومن أنفسهم ونمــا لا يعلمون » يس / ٣٦ .

د لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ، التين / ٤ .

ومن القضايا النفسية والسلوكية التي أثارها القرآن قوله تعالى :

« كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » العلق / 7 - 7 .

د إن الانسان لربه لكنود.وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد »
 العاديات ٦ – ٨ .

هذه الآمات ، وكثير غيرها ، لفت القرآن الكريم ، نظر الإنسان اليها ، واستنطقها لتعلن عن أسرار خلق الله ، وعظيم صنعه ، وليقف العقل الانساني على دقة ووحدة نظام الكون ، الهادف إلى سعادة الانسان .

وبالهزة العقلية التي أحدثها القرآن في مجال العقيدة والفكر ، وبالاسلوب البرهاني الاستدلالي ، أزال خرافات الالخاد ، وصدأ الشرك والوثنية ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل مد الانسانية بينبوع لا ينضب من التشريعات العامة الشاملة ليهدي الانسان إلى ما يفيده وينفعه ويصلحه ، ويجنب الوقوع في المخاطر والمهالك ، وليقيم الانسان حياته الفردية والاجتاعية على دعائم ثابتة راسخة ، تتفق وتتلائم مع سنن التطور والتغيرات في البيئة والظروف .

وأشاع القرآن في النفس الانسانية روح الطمأنينة والاستقرار ، وأودع فيها شعاع التفاؤل والطموح ، وغذ الها بمشاعر الحب والوئام ، وروضها على تحدي المقبات وتجاوز الصعوبات ، وحررها من كل العبوديات المادية والشهوانية ، وكل أشكال السيطرة ، وأوثق صلتها برب العالمين . فحقق في هذا المجال ما لم تستطم تحقيق بعضه أية ثورة اصلاحية في العالم .

وحسبنا أن نشير هنا إلى ما يسود العالم اليوم من تخوف غير مشروع ونزعة تشاؤمية مريرة قاتلة عن (القحط) في الغذاء الذي يظن أنه سيسود العالم قريباً نظراً لتزايد السكان غير المتناسب . والقرآن الكريم اجتت هده النزعة من جذورها ولفت نظر الانسان إلى كنوز الثروة التي من الله بها المرئية وغير المرئية مما الاستبشار ، والغبطة والفرح ، بتوازن الموارد والاستهلاك ، وكفاية الغذاء للبشرية مدى ملاين الدهور .

• قال تعالى :

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات و ما في الأرض وأسبغ عليكم نيصمه ظاهرة وباطنة ، ومين الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، لقمان / ٢٠ .

ولعل من النعم الباطنة ما يدأب العلماء اليوم على تحقيقه من استخدام الذرة لصنع أنواع الغــــذاء لمدة ملايين السنين وليس أمامهم من عقبة سوى طريقة التخلص من الفضلات المشعة الناجمة عن تحطيم الذرة ...

والقرآن الكريم - في هذا المجال - في الوقت الذي يقرر جهل من يدعى أنه بلغ سنام العلم وأدرك غايته ... و وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، الاسراء / ٥٠ . ويقرر سذاجة التفكير التشاؤمي و يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، الروم / ٧ . فإن القران يؤكد كفاية نِعَم الله لحلقه و وسختر لكم الليل والنهار . وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّ وا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ، ابراهيم / ٣٤

فتسخير الشمس للانسان مصدر هائل من الطاقات التي يمكن استخدامها في ختلف المجالات كما ان نعم الله من الكثرة والخفاء بدرجة لا يقدر على إحصائها أحد و أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ، النحل / ١٧ – ١٨. وما الفقر إلا نتيجة سوء توزيع الثروة لا لعدم كفايتها .

فتطهير العقيدة ، وتنظيم التشريع ، وتزكية الطباع والأخلاق ، باساوب يطابق الفطرة ويتفق مع سنة الله في التطور ، ويطابق أحدث المحتشفات العلمية ، هذا الدور الجبار الذي مارسه القران الكريم ، نقل الأفراد والجاعات البشرية نقلة عملاقة ، تلاشت عندها مآسي الضلالات ، وتحطم جبروت السلاطين والطواغيت ، وزال كابوس الجبابرة ، ممن فرضوا على الناس ألوهيتهم الكاذبة ، وأشرقت الأرض بنور التوحيد والعلم والمعرفة التي شعت من آيات القرآن الكريم متخطية حدود الأجيال وأبعاد الزمن ، شاملة الانسانية في كل أدوارها وأطوارها .

فهل يوجد معنى للهداية والرشاد ، والأخذ بيد البشرية – كل البشرية – إلى المستقبل الأفضل ، والعيش الأرغد ، أسمى بما أنجزه القران الكريم وحققه في مجالي النظريات والتطبيقات .

وهل أمكن للانسان (العلماني) أن يحقق في أي مجال من مجالات الحساة العامة والفردية أدنى ما حققه الانسان (القراني) بأول دفقة شعاع أشرقت من القران ؟

وهل شيّدت على كوكبنا الأرضي حضارة تضاهي بل تداني بعض ما شيده إنسان القران ، من حضارة على أسس من الاخاء الانساني ، والمساواة التامة ، والحير العميم والاستقرار الاجتماعي وسائر الحقوق التي تثور من أجلها شعوب العالم اليوم ...؟

المبحث الرابع

أثر القرآن في تحرير العقول

تمهيد ؛ بدأ القرآن أول ما بدأ ، بتحرير العقول من قيود الجهل والأوهام والأساطير ، وباشر الرسول يَتَمَاشِرُ أول ما باشر ، تطهير العقول من أدران الإلحاد والشرك والضلالات . فحيثا وجد العقل النظيف ، وجدت العقيدة السليمة ، ومتى ما تحرر العقل ، انطلق الفكر والسلوك من إسار الخرافات ، إلى رحاب العلم والمعرفة .

والقرآن الكريم ، في أول آياته الكريمة التي أشرقت على الإنسانية ، كُنَّىَ المبودية للمخلوقات ، وقصرها وحصرها بالخالق الواحد الأحد ، وبدد دياجير الجهل ، وأنار طريق العلم :

﴿ إِقْرَأُ بَاسُمُ رَبُّكُ الَّذِي خُلُقَ خَلْتَقَ ۖ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْـتَقَّ...، العلق / ٢-٢.

وهذا التحوّل الجذري الذي أحدثه القرآن ، وباشره الرسول الأمين ﷺ أيقظ الانسان ، وأفاض الحرية على العقل ، وأسبخ نعمة العلم عليه ، الأمر الذي استطاع معه القرآن أن يرسي دعائم مجتمع إنساني ، يتجاوز الحدود والعصبيات والغوارق ، وشيجته أخوة عقائدية وسمته تحرر مطلق من المادة ، وعبودية خالصة لله تعالى .

وفيا يلي نستمرض بإيجاز وضع العالم والجزيرة العربية قبل الإسلام ونبحث طبيعة التحرير القرآنية وأسسها في المطالب التالية :

المطلب الأول

الوضع العالمي قبل الإسلام

لكي نقف على الدور الذي أدّاه القرآن الكريم ، في تحرير العقل الإنساني ، بما قدّم من عقيدة وفكر ومفاهيم ، لا بد أن نستمرض بصورة عجلى ، ما كان عليه العالم – قبل شروق الإسلام – من أوضاع اجتماعية وعقائدية دينية .

لقد كانت الوثنية – سافرة وباطنة – ضاربة أطنابها في ربوع العالم أجمع . فعبادة الحيوانات والأحجار والكواكب والنيران ، قد ألقت بكلكلها على عقول الناس ، وظلم العالم أسير هذه الهمجية والتدهور قروناً طويلة .

فكانت عبادة الحيوان، إحدى خصائص الديانة المصرية ، حيث راح الناس يعبدون العجل المقدس (١) . وعبادة البقر والعصافير والقردة مشهورة في أنحاء مختلفة من الهند – حتى يومنا الحاضر – بالاضافة إلى عبادة الشمس ، باعتبارها روحاً أو إلها وتقديم الضحايا والقرابين اليها (٢) .

والتوتم (٣) معبود المشائر والقبائل في أصقاع مختلفة من العالم ، سواء كان دباً أو ذئباً أو طائراً مائياً (٤) ، أو نحو ذلك .

وعبادة الأرواح الكامنة في الأرض ، باعتبارها علة للخصوبة والجدب ، الأمر الذي يستلزم استرضاؤها بتقديم ضحايا من الآدميين ، وإرواؤها بدمهم ، ما ساد في أمريكا والمكسيك وغينيا الجديدة وساحل الذهب وأغنوا وزولوا الافريقية (٥٠) .

ولم تكن اليهودية والنصرانية بمنجى من هذه الانتكاسات ، بعد أن عبث فيها يسد التحريف والتأويل (٦) واتخذ الناس رهبانهم وأحبارهم أرباباً من دون الله .

⁽١) الخشاب: أحمد الاجتماع الديني ص ٣٣٩.

^(-) الصد نفسه ص ۲۶۳ .

⁽٣) التوتم هو الرمز الحيواني أو النباتي أو الطبيعي الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها .

⁽٤) المصدر نفسه ص ٢٢٥.

⁽ه) المصدر نفسه ص ۲٤٧ - ۲٤٨ .

⁽٦) كحالة: المالم الاسلامي ، المرب قبل الاسلام ص ١١٥.

ولهذا لم يكن غريباً - في مثل الانحطاط - أن يلقى رجال الاختراعات أشد أنواع التمذيب والاضطهاد على يد رجال الكنيسة الاوروبية، وأن تؤسس المحاكم الخاصة لمحاكمة رواد العلم والمعرفة، وتعذيب العباقرة المجددين، الامر الذي أحدث رد فعل عنيف تجلى عن حمله كراهية وعداء لا لرجال الدين الكنسي في اوروبا فحسب بل للدين - كل دين سماوي - بعد أن توهم العلماء والناهضون أن الدين بذاته يأمر بالجهل وينهى عن العلم والتفكير وتطوير الحياة لصالح الانسان ...

ويكفي لمعرفة الوضع الاجتماعي العالميأن نعلم أن بعض شرائع جنوب شرقي آسيا تقرر أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خير من المرأة !!! وفي الشريعة الهندوسية وأن على الزوجة أن تقتات بعد وفاة زوجها بالزهور والجذور والفواكه ليضمر جسمها ... ، (١) ، وفي روما يقرر مجمعها أن المرأة رجس لا نَهُ سُسَ لها ، ويحرم عليها الكلام — فجعلوا قفلا تشريعياً على فمها — وحرموا عليها أكل اللحوم و ... وفي انكاترا أصدر الملك هنري الثامن أمراً بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على المرأة !! ولم يكن للمرأة حتى المواطنة الطبيعي في انكاترا حتى عام ١٨٥٠ .

المطلب الثاني الوضع العربي قبل الإسلام

كان العرب قبل الإسلام ، يرزحون تحت كابوس من الظلام العقائدي والسياسي والاجتماعي. فمن حيث العقيدة نجد طائفة أنكرت الخالق جل جلاله وهم الدهريون ، ومنهم من اعترف بالله وأنكر البعث والنشور ، ومنهم من جعل لله أنداداً ، كالأصنام والأوثان ، يعبدونها لتقربهم زلغى إلى الله .

فمن العرب من كان على الوثنية . وهي نفس ديانة السكان القـــدماء في

⁽١) احسان حقي : منو سمرتي - كتاب الهندوس المقدس ص ٣١٣ .

الأقطار الاخرى ، وأهم آلهتهم القمر (سين) . وكانت عبادة هذا الإله شائمة في جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً (١) .

والحجارة المؤلمة – عند العرب – نوعان : النوع الأول هو الحجارة المحمولة أو المنقولة ، والنوع الثاني هو الحجارة الثابتة التي لا تزحزح من محالها (٢) . يقول أبو عثمان النهدي (٣) :

كنا في الجاهلية نعبد حجراً ، ونحمله معنا . فإذا رأينا أحسن منه ، ألقيناه وعبدنا الثاني ، وإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلهكم فالتمسوا حجراً (٤) . ويقول ابن هشام :

كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة (٥) .

ويقول ابن الكلبي :

كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر: كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً . وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا ، أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً ، وجعل ثلاثة أتافي لقدره ، وإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك (٦)!!

وقبيل الإسلام كانت قريش تطوف بالكعبــة وتقول : واللات (٧)

⁽١) سوسة : الدكتور أحمد ، المرب واليهود في التاريخ ص ١١٥ .

⁽٢) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٢٧ .

⁽٣) نهد : قبيلة من قضاعة .

⁽٤) ابن الأثير : أسد الفابة في معرفة الصحابة ج ٣ / ٣٣٠ .

⁽ه) السيرة النبوية ج ١ / ٨٠ .

⁽٦) كتاب الأصنام ص ٣٣.

 ⁽٧) اللات : صنم بالطائف ، وهي أحدث من مناة . وكانت صخرة مربعة ، وكان يهودي يلت عندها السويق .

والعزى (١) ومناة (٢) الثالثة الاخرى ، فإنهن الفرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى . كما كانوا يقولون : بنات الله وهن يشفعن إليه (٣) فأنزل الله تعالى على رسوله الكريم عَيَّمُ الله : « أفرأيتم اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الاخرى ألسكم الذكر وله الانثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ... ، النجم / ١٩ – ٢٣ .

ويظهر أن العربي قد عبد الحيوان الحي نفسه ، ولم ينحت الأصنام على صور حيوان لأنه كان جاهلًا بصناعة الرسم والنحت (٤) .

وتأثر العرب بالزرادشتية (°) والزنادقة والمانوية (٦) . وكان تأثرهم بالجحاورات لأهل الملك ، والانتقال إلى البلدان ، والانتجاعات (٧) .

وكانت إلى جانب الوثنية في بلاد العرب نحل من ديانات أخرى منها الصابئة وقد انتشرت في بلاد اليمن وحر"ان وأعالي العراق (^) .

والصابئة معروفون بمبادة الكواكب والنجوم . وقال المجاهد والحسن انهم

⁽١) العزى : أعظم الأصنام عند قريش ، وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير .

⁽٢) مناة : أقدم الأصنام . على ساحل البحر ، بين المدينة ومكة ، وكانت لهذيل وخزاعة ، وكانت قديش وجميع العرب تعظمه . وفي سنة ثمان المهجرة - عام الفتح - أرسل رسول الله (ص) الامام علي بن أبي طالب (ع) فهدمه ووجد فيه سيفاً يقال أنه ذو الفقار (انظر التفاصيل: ان الكلي : الأصنام ص ١٤ - ١٥) .

⁽٣) الأصنام ص ١٩.

⁽٤) علي : ابراهيم حسن التاريخ الاسلامي العام ص ١٦٢ .

⁽ه) حسن : حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ / ٢٧ .

⁽٦) علي : ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ١٦٢ .

۲ ۲ ٤ / ۱ عاريخ اليمقوبي ج ١ / ٢ ٢ .

⁽٨) حسن : حسن ابراهيم : المصدر السابق ج ١ / ٧٢ .

مناليهود والمجوسلا دين لهم (١٠). وقال صاحب الميزان (تفسير الصابئة بالمذهب الممتزج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحر"انية هو الأوفق) (٢) والديانة والصابئية تغيرت على مرور الزمن حتى تفر"عت منها فروع منوعة (٣) وينسب الصابئة دينهم إلى سيدنا نوح وإلى ابراهيم الخليل (٤).

وكان في العرب يهود ونصارى . فأما من تهود منهم فاليمن بأسرها كان ربيع) حمل حبرين من أحبار اليهود إلى اليمن فأبطل الأوثان وتهو"د من باليمن وتهود قوم من الأوس والخزرج ، بعد خروجهم من اليمن ، لمجاورتهم خيبر وقريضة والنضير ...

وأما من تنصّر من أحياء العرب ، فقوم من بني أسد بن عبد العزى . . . ومن بني تميم ^(ه) .

وكان في العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وينتظر رسولا من الله تعالى بناء على ما ورد في التوراة والانجيل. وتحدثنا الرواية أنه قبيل دعوة محمد كير الله كان هناك قليلون يؤمنون بالتوحيد ... فالعرب – والدين الإسلامي على الأبواب – كانوا يدينون بمعتقدات جاهلية أو باليهودية أو النصرانية أو التوحيد (٦) . وكان أولاد معد على بقية من دين اسماعيل علي علي المنا وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه (٧) .

وأما الوضع السياسي للجزيرة العربية ٬ فكان النفوذ الروماني من الشمال ٬

⁽١) الطبرسي : مجمع البيان ج ١ / ١٢٦ .

⁽٢) الطباطبائي: الميزان ج ١ / ٢٢٤.

⁽٣) الحسني : عبد الرزاق ، الصابئون ص ١٣ .

⁽٤) الجارم : محمد نعمان : أديان العرب في الجاهلية ج ١ / ٨ ٥ ٠ .

⁽ه) اليعقوبي: المصدر السابق ج ١ / ٢٢٥ - ٢٢٧ .

⁽٦) موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ٢٠٨ .

⁽٧) ابن الكلبي: كتاب الأصنام ص ١٣.

والفارسي من المشرق ، والحبشي من الجنوب ، يهدد الوجود العربي ، ويخضع العشائر والقبائل تحت كابوس عسفه ، ويلبسهم شيماً متناحرين . ولم تكن للعرب دولة واحدة تجمع شتاتهم وتعز كلمتهم وتوحد شملهم ، بل كانوا موزعين تحت سيطرة هؤلاء وأولئك ، منقسمين على أنفسهم ديدنهم الفتك والقتال .

(فأيام العرب مماوءة بحروب وثارات؛ نشأت في الأصل عن نزاع على الماشية أو المرعى أو عيون الماء) (١) . وبلغت روح الانتقام درجة مروعة حتى أن النساء لم يرضهن سوى صبغ ملابسهن بدم القتيل وأكل قلبه وكبده (٢) . . . وقد شهدت الفترة الاولى من معارك المسلمين مع الجاهليين صورة من هذه الحساقة والوحشية في أم معاوية بن أبي سفيان (هند بنت عتبة) حيث أخرجت كبد حزة عم النبي من مناه ولاكته بأنيابها حقداً على النبي من المخطمة (٣) المنام والأونان المحطمة (٣) ا الـ

وأما من الناحية الاجتاعية ، فكان الفقر غالباً ، والفاقة شاملة ، والأرملة ميراثاً ضمن تركة الزوج : فإما أن تفتدي، وإما أن يتزوجها الوارث ، وإما أن يعضلها ويتعنت في تزويجها طلباً للمال ، وإما أن تموت فيرثها . قال تعالى : ويا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوه من لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن . . . ، النساء / ١٩ .

وعادة وأد البنات وهن على قيد الحياة عادة سارية ندد بها القرآن الكريم وحرمها بشدة دوإذا بُشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشتر به أيسكه على هون أم يدشه في التراب ألا ساء ما

⁽١) موسكاتي: المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٠٠.

⁽٢) عمر كحالة : العالم الاسلامي ص ١١٥ .

 ⁽٣) واجع تفصيل ذلك: الواحدي : أسباب الغزول ص ١٩٢ . وراجع سائر كتب التاريخ:
 معركة أحد .

يحكون ، النحل / ٥٩ . (وإذا الموؤدة سُئلت بأي ذنب قتلت ، التكوير / ٨ – ٩ .

وكانت الخرة شائعة والرقيق تجارة مألوفة ، والسلب والنهب شائعـــة ومكرمة من لم يتخلق بها سحقته أقدام الآخرين .

وهكذا يتبين أن الانحطاط المقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي قد أرخى سدوله على الجزيرة العربية وليس فيها أثارة علم أو حضارة أو مدنية حتى شع نور الإسلام ...

المطلب الثالث

طبيمة التحرير القرآنية

أ ـ دور القرآن :

إن الطبيعة القرآنية لتحرير المقول ، لا تكتفي بتغيرات ظاهرية في مناهج التفكير وأساليب العمل . وإنما تمتد إلى أعماق المقل والنفس ، وتحدث انقلابا جذرياً في الاسس والقواعد ، التي تصدر عنها عقائد الناس وأفكارهم ومشاعرهم وعواطفهم ، فتغيير (جو "اني) الانسان يكفل تغيير (بر "انيه) كا يكفل ديمومة واستمرار آثار التغيير . قال سبحانه : «... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... ، الرعد / ١١ .

ولقد وجدنا – فيما سبق – عقائد العالم والعرب قبل الإسلام ، حيث كان العجل والثعلب والريح والشمس والنجوم والحجر والنار وغير ذلك أقدس مكانة وأعز منزلة من الانسان ، وكان الانسان العبد الذليل الضارع لهذه الأرباب .

وأطل الإسلام ، ودو"ى صوت القرآن ، فجمل الانسان أعز ما في ملكوت الله ، وكل ما في الكون من كائنات في الساء أو في الأرض مسخرة لخدمته :

« ولقد كرمنا بني آدم ... » الاسراء / ٧٠ .

و ألم تروا أن الله سخر لكم ما في الساوات وما في الأرض ... ، لقمان / ٢٠

فأعاد القرآن للانسان الثقة بنفسه ، وعندئذ اهتز المقل الانساني هزة تساقطت عندها جميع أوهام وخرافات السنين السحيقة وتهاوت كل الآلهة التي يخلقها الناس ويعكفون عليها ويخرّون لها ساجدين ، واستيقظت النفوس ، واشرأبت الأعناق تستشرف فجر الدين الجديد وتصيخ لنداء القرآن :

د و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، البقرة / ١٦٣ . فها كان من الوثنين إلا أن قالوا:

و أجعل الآلهة إلها واحداً إن هــذا لشيء عجاب ، ص / ٥ واستجابت النفوس الطاهرة ... ودخل الناس في دين الله أفواجاً وسارت جموع المسلمين يرددون في مسمع الدنيا : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وهكذا عاد الانسان إنساناً بمد أن كان أذل من البهائم والأحجار ، وهكذا عاد المعبود هو الخالق البارىء المصوّر بعد أن كان العجل والثعلب والتمر والحجر .

بل هكذا تغير وجه العالم ، وتبدلت مسيرة الانسانية واهتدى الناس إلى الصراط المستقيم حيث تدارك الله بلطفه هـنا الخلق ، فأنزل القرآن ، وراح رسوله الكريم بين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويهذب طباعهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فأنقذ العالم من دمار ماحق ، وبدد عن وجه الدنيا اكفهرار ليل دامس ، وأرسى في متون الأرض من قواعد التحرير والهداية والرشاد ، ومعالم المعرفة والاصلاح ما لا تقوى عليه حملات الجاهليين ، ولا دعاوى المعمورين، ولا مزاعم الحاقدين إلى يوم الدين .

ولم يقف دور القرآن في تحرير عقول الناس عند مستوى تقرير حاجات الناس العقيدية والتشريعية والخلقية ، بل وقام بدور التوفيق بين نوازع الروح وغرائز الجسد ، والتنسيق بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة ، وأثبتت رسالته خلال التطبيق والتجربة الاجتاعية التي عاشتها تطابقاً فذاً مع فطرة الإنسان في كل ما جاءت به ، وجدارة فريدة في السيادة والهيمنة على الانسان من داخله ،

وتنظيماً عجيباً للفرد والاسرة والمجتمع : « الركتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظامات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، ابراهيم / ١ .

ب ـ أقوال علماء العالم (١):

لقد صرح علماء العالم بسمو مبادىء الإسلام وشمول قواعده ودوام صلاحه وأهمية القرآن الكريم ودوره في تقدم الإنسانية :

قال دفرجه في كتابه (العالم ، جزيرة العرب) : .

(في القرآن أصول دينية وأخلاقية وفلسفية ، وقوانين سياسية وحربية ، وقانون مدني ينظم سير علاقات الناس بينهم ، في كل وجه من وجوه الحياة العظيمة) .

وقال وليم ميور (اعتقاد الإسلام) :

(إن القرآن ممتلىء بأدلة من الكائنات المحسوسة ، والدلائل العقليـة على وجود الله وإنه الملك القدُّوس . . ويمثل حقيقة البعث ، بأمثال كونية صادقة وتشبيهات مدهشة) .

وقال ادوار جيبون:

(إن دين محمد خال من الشكوك والظنون. والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد أن نهى النبي عن عبادة الأصنام والكواكب ، وهذا الدين أكبر من أن تدرك أسراره العويصة عقولنا الحالية) .

وقال تولستوي في كتابه (حكم النبي محمد) :

(ومما لا ريب فيه ، ان النبي محمداً مَشَيَّاتِكُ من عظام الرجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتاعية ، خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمــة

 ⁽١) انظر كحالة : عمر وضا ، العمالم الاسلامي ج ١ / ١٩٨ وما بعدها ، مهندس زكريا
 هاشم زكريا ، فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، ص ه ٢٧ وما بعدها .

برمتها إلى نور الحق ، وجملها تجنح للسكينة والسلام ، وتفضل عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ...) .

وقال مسمر (دين الإسلام والعلم لرينان والرد عليه لمسمر) :

(إن إعلان الوحدانية ، في وقت ملت فيه الامم خرافات علم اللاهوت ، كان من أفضل الأشياء ، حتى أنه بمجرد ما نطق بها – كلمة التوحيد – (محمد) من اخترقت جميع معابد الأصنام وأنارت بذلك ثلث الدنيا) .

وتحدث الكاتب الانكليزي برناردشو عن الإسلام فقال :

ان اوروبا بدأت تحسُّ مجكمة (محمد) ﷺ وبدأت تعشق دينه ... وسيكون دين (محمد) ﷺ مو النظام الذي يؤسس عليه دعمائم السلام والسمادة ... فقد نادى الإسلام بالحرية والإخاء والمساواة ، ورسم وسائل تحقيقها ، وأقام موازين الحق والعدل والانصاف ...) .

وتحدث ماسنيون :

(يمتاز الإسلام بأنه : يمثل فكرة مساواة صحيحة... وللإسلام ماض بديم من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له ما للإسلام ، ماض كله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة ، على بساط المساواة في الحقوق) .

وقال جان مليا :

(الإسلام دين ساوي ، وهو دين حب وعاطفة وشرف ، وهو أكثر الأديان تساهلا) .

وقال أدموند يورك :

(القانون المحمدي قانون ضابط للجميع ، من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي ، وأفضل قضاء علمي ، وأعظم تشريع عادل لم يسبق قط للمالم إيجاد مثله) .

وتجدث المؤرخ الانكليزي أرنولد توينبي عن عالمية الإسلام فقال :

(لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل أن للمالم أجمع نصيباً فيه ، ولما لم يكن هناك غير إله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد ، يدعى اليه الناس كافة .

وقال المفكر الكبير جوستاف لوبون :

(القرآن قانون ديني وسياسي واجتاعي ، وأحكامه نافذة منذ قرون كثيرة، والمسلمون أخوة لأنهم يعبدون إلها واحداً وشريعتهم واحدة) .

وتحدث جوته الالماني عن القرآن فقال :

(إن هذا الكتاب سيحافظ على تأثيره إلى الأبد ؛ لأن تماليمه عملية مطابقة للحياة الفكرية ؛ لقوم ممتزين بتقاليدهم) .

ولو قدر للبشرية أن لا تمنى باقصاء القرآن من محل الصدارة في توجيه المجتمعات ، لما عدنا نشم رائحة البارود تتصاعد من كل مكان في العالم ، وغبار الذرة يملاً الحيطات والأجواء والقفار ، ويهدد بالدمار الماحق ، ولما أبصرنا مصارع الشعوب في كل حدب وصوب ، ولما سمعنا طبول الحرب – حرب الصواريخ ذات الرؤوس المتعددة الاتجاهات – تقرع أسماع الدنيا وتنذر بفناء الأقوياء والضعفاء على حد سواء .

ولو سنحت للبشرية فرصة الإهتداء بالقرآن والاعتصام بحبله ونبذ المناهج الجاهلية لشهدنا أحلام شعوب العالم وأهداف ثوار أمم الأرض ومقاصد المنظهات والمؤسسات الدولية دون ما يجسد القرآن ويحققه ، في كل مشهد من مشاهد الحياة ، الفردية والجماعية ، حين تستظل بظله وتهتدي بهداه ، وتتبع منهجه وتطبق قواعده وأحكامه ...

المطلب الرابع أسس القرآن في التحرير

اعتمد القرآن الكريم لتحرير العقول أسسا منها الناكيد والتعويل على :

المقل الانساني ، وبشرية الرسول محمد ﷺ ، والاساوب البرهاني في الاقناع . أ ـ العقــــــل :

أكد القرآن الكريم على المدركات المقلية ، ومنح المقل الدور الفيصل في التمييز ، وعاب الذين يغلقون عقولهم ، ويحاكون غيرهم محاكاة تقليدية ، ومدح الذين يستعملون عقولهم في إطار المقائد والسلوك وسائر التصرفات .

ولولا أن يكون القرآن الكريم أصيلاً في مهارسة عملية التحرير ، لما أعطى المعقل هذا الدور الخطير في القبول والرفض ، ولما أنحى بالتقريع والتوبيخ على الذين حجبوا عن أنفسهم نعمة العقل وراحوا يقلدون الماضي أو يخوضون مع الخائضين ...

ففي القرآن الكريم عشرات الآيات تحث الناس على التبصر والتفكير والتدبر باستمال المقل كقوله تمالى : « وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » . و « . . . وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » و « . . . لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » . و « . . . وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون » . و سائر الآيات الكريمة .

وفي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تمتدح ذوي العقول والمفكرين وتنمتهم بالنعوت الكريمة ، لاستمهالهم العقول . كقوله تعالى : « إنما يتذكر أولوا الألباب، و « ذكرى لاولي الألباب، و « اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الألباب، و « إن في ذلك لآيات لاولي النهى ، وهكذا .

وتطالعنا آية كريمة لا تجمل العقل سبيل سعادة وخير في الدنيا فحسب بل وتجمله يقرر مصير الانسان في الآخرة . فإذا ما عطله الانسان في الدنيا وأهمله وراح يتبع الأهواء والرغبات والشهوات فإن مصيره الخسران المبين والعذاب العظيم قال تمالى في كلام أهل النار : « وقالوا كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير » الملك / ١٠ .

ب ـ بشرية محمد كالله :

لقد استطاع القرآن الكريم أن يزعزع جذور العقائد الفاسدة ، ويجتث منابت العادات الهمجية المنحطة ، وأن يرسي قواعد رسالة كاملة شاملة ، حوت من العقائد والتشريع والأخلاق ما يغني العالم بأسره من كل تشريع . بل وينفي الشرور والمفاسد عن وجه المعمورة ، فتعيش الانسانية إنسانيتها بحق ، كاملة غير منقوصة .

وكان رسول الله مَشَيَّمُ وهو يبلغ آيات القرآن الكريم يؤكد للملاً من حوله أنه (بشر) مثلهم وانه لا حول له ولا قوة إلا ما شاء الله وأنه لا يعلم الغيب إلا بها بأذن به الله تعالى ، في عشرات الآيات ، كقوله تعالى : « قل إنها أنا بشر مثلكم يوحى إلى من الكهف / ١١٠ . و « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء...» الأعراف / ١٨٨ . و « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم الله عندي أن الأنعام / ٥٠ .

وكان رسول الله عني على عقول الناس ويصقل نفوسهم ويوجه أنظارهم إلى ملكوت الساوات والأرض ويوقفهم على ما في الكون من أسرار الخليقة ، وعجيب الصنع ، وعظمة النظام، ويمدهم بينبوع تشريع، ستظل كل الحضارات التالية مدينة اليه ، وهو في هذا الشموخ العلمي والفكري ، يمكس أجلى صور الزهد والتواضع ، على صعيد سيرته وتعامله مع أهل العالم ، و من حوله ...

فكانت هذه السجايا الحميدة ، والتأكيد على كونه بشراً ، ونفي صفة الملائكة عنه مع عظمة ما جاء الناس به من رب العالمين ، من العوامل الرئيسية في التأثير المباشر والسريع على عقول الناس، وتحريرهم من ربقة المادة والشهوات وتنشيط النوازع الانسانية لديهم ، والرقي بهم في مدارج الكمال .

ج ـ الاسلوب البرهاني :

ومن عجيب أمر القرآن الكريم أنه لا يدلي بأمر إلا ومعه حجته. فقد اتخذ

الاساوب البرهاني الاقناعي ، والمرض المشفوع بالدليل القاطع وسيلة في ما أداه من دور تغييري في مجالات الحياة. وأعجب من هذا أنه – وهو يحدث الانقلاب الجذري في الفكر والساوك – يشجب الايمان الأعمى ، ويأمر أن لا يقبل إنسان أمراً ما إلا بالدليل والبرهان الذي يوجد علماً وينفي كل شك أو ريبة لدى الانسان . كقوله تمالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم . . . » و « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » البقرة / ١١١ .

ويحمل القرآن الكريم من ميزات عظمة وقوة التوحيد قيامه على الدليل ، ومن سمات ضعف ووهن الشرك ابتناؤه على دعاوى فارغة وتصورات كاذبة: ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ، المؤمنون / ١١٧ . وقوله: « أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض . أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، النمل / ٦٤ .

فاستمال العقل لا الخرافات والأوهام والأساطير ، والتأكيد على بشرية الرسول ﷺ دون الزعم بكونه ملكاً،أو إحاطته بخزائن الله أو علمه بالغيب أو نحو ذلك ، واتخاذ الاستدلال والبرهنة دون التقليد الببغاوي ، والمحاكات العجاوية ، تعد من عجائب القرآن ، إذ أن هدفه في تحرير عقول الناس وأصالته في دوره كان يحول دور أن يسلك سبيل سائر (الاطروحات) التي تجمل المفالطات والمواعيد الكاذبة والسبل الملتوية أساليب لها من أجل تحقيق غاياتها ومطامعها .

وبذلك يكون القرآن قد أحدث تفييراً جذرياً لا في أصول حياة الناس وركائز تفكيرهم فحسب ،بل وفي طرق التحولات الاجتاعية وأساليب النهضات الحضارية في العالم . حيث كان المعتاد أن من يحاول أمراً تشبث بكل الوسائل المؤدية اليه مها كانت درجة مشروعيتها ولكن الإسلام يرتفع عن هذا المستوى

ويؤكد أن الوسيلة جزء لا يتجزأ من الغاية (من أمر بممروف فليكن أمره بمعروف وليكن أمره بمعروف) وقول الإمام علي علي العمراق : (وإني لأعلم بما يحملكم على طاعتي...) ويقول مسلم بن عقيل لهاني بن عروة حين طلب منه الفتك بمبيدالله ابن زياد (نحن أهل بيت نكره الفدر ...) النح .

وحيث (لا يعبد الله من حيث يعصى) فإن القرآن الكريم لم يعتمد في دوره الرسالي لتحرير عقول الناس إلا على الاسس الوضاءة والأساليب المشرقة ، لبناء عالم الانسان الانسان ، على أنقاض عالم الانسان المنهار ، أو المرتد إلى عصور الجاهلة السحمة .

وبفضل الأساليب والاسس المشروعة استطاع القرآن تحرير عقول الناس وفك عقالها ، واستطاع أن ينتصر - في برهة من الزمن - على الوثنية والشرك بشق صورها ، وعلى الديانات بمختلف مذاهبها ، وأن يحيل الركود الفكري ، والجمود العقلي ، إلى حركة تأملية كبرى ، تمخضت عن تولي زمام العالم في شتى الميادين ، وأصبحت أمة القرآن طليمة أمم الأرض قاطبة وأعزها مكانة وأقواها شكيمة وأوسعها علماً وأعلاها هداية ورشاداً .

المبحث الخامس

دعوة القرآن إلى التفكير

أولاً ـ التفكير في الخلق:

نهض القرآن بالدعوة إلى استعال المشاهدة ، وتحكيم العقل معا ، لتكوين العقيدة ، فد عَمَ المدركات العقلية بالشواهد الحسية . ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة ، ومعرفة سنن الاجتاع الانساني في التطور ، وتدبر أحداث الكون ، وهو في كل ذلك يربط بين المشاهدة والمعطيات العقلية ، أو بين الانسان وبصرته .

فالمشاهدة أصل علمي وقرآني في آن واحد . ففي القرآن الكريم كثير من الآيات تأمر باستعال الحواس لاستكناه الطبيعة والوقوف على قوانين الكون واستخدام الطاقات الهسائلة فيه لصالح الانسانية . والشواهد كثيرة منها : د... ويتفكرون في خلق السارات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، آل عمران ١٩١ . و أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى الساء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت فذكر ، الغاشية / ١٧ - ٢١ . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق . . . ، العنكبوت / ٢٠ و لخلق الساوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، غافر / ٥٧ .

ثانياً _ التفكير في مبدأ الانسان ومعاده :

ومن الشواهد القرآنية التي تجعل الانسان يحس المعقول ويشهده قوله تعالى: « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » فاطر / » . فالقرآن يشير إلى ظاهرة طبيعية عسوسة يشاهدها الانسان ، وبالقياس عليها يصور القرآن لنا أمراً معقولاً هو البعث يوم القيامة .

ونظيرها قوله تمالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسَ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبُ مِنَ البَّعَثُ فَإِنَا خُلَقْنَاكُمُ مِن ترابِ . . . ﴾ الحج / ٥ .

ويجري القرآن الكريم محاكات عقلية لإثبات ما هو بصدد إثباته وعندها لا يملك العقل السليم إلا الايمان والتصديق قال تعالى : « وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبموثون خلقاً جديداً . قل كونوا حجارة أو حديداً . أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ... » الاسراء / ٤٩ – ٥١ .

والقرآن يعرض بشكل مذهل : خلق الانسان الأول ، ثم يبحث تطورات نموه – بيولوجياً – في بطن أمه بصورة غاية في الدقة ، ثم يستمر عرضه لمسيرة الانسان في حياته وتكامله وشيخوخته وهرمه وموته وبعثه: قال سبحانه: و ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ، المؤمنون / ١٢ – ١٦.

ولو أردنا أن نفصّل ما تضمنته هذه العبارات الكريمة من معان وما دلت عليه كلمة (سلالة) والنظريات الحديثة فيها ، وأدوار الجنين التي وقف عليها العلم اليوم لطال البحث وضاق الجمال .

ثالثاً ـ التفكير في العلوم الكونية والانسانية :

دعا القرآن بإلحاح إلى التأمل في كل الفاوم ، ومراقبة أحداث الكون ، واستنطاق الظواهر الطبيعية ، للوقوف على عظمة الخالق ، وتسخير القوى المودعة في هذه الموجودات ، لخير وسعادة الانسان و هو الذي أنزل من السهاء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذراً لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجون منه علية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، النحل / ١٠ – ١٤ .

ودعا إلى التفكير في علم الأجنة وما يتصل به من علوم أخرى ، قال تعالى: « فلينظر الانسان مم خُلق . 'خلِق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ، الطارق / ٥ – ٧ .

ودعا إلى تأمل حالات النفس الانسانية وما يؤثر فيها ، وما يطرأ عليها من تغيرات ونحو ذلك مما يتعلق بعلم النفس : دوفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، الذاريات / ٢٠ – ٢١ .

رابعاً _ التفكير في أحداث التاريخ :

يعرض القرآن صور الحياة ، وأحداثها التي مرت على الامم السابقة ويستخلص منها العبر والحكم ، ويحذر الناس أن يقعوا فيا وقمت في تلك الامم ، من طفيان مالي ، أو استبداد سياسي ، وتكذيب وجحود ، أو عصيان وفسوق ، فحاق بهم العذاب ، ولا محيص . قال سبحانه :

وفرعون ذي الأوتاد . الذين طفوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب » الفجر / ١٠ – ١٣ .

إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ... » . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » القصص / ٧٦ – ٨١ .

﴿ قُلُ سَيْرُوا فِي الْأَرْضُ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانْ عَاقَبَةَ الْجُرْمَيْنُ ﴾ النحل / ٦٩ .

د ... وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ، الأعراف / ٨٦ .

« قــد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، آل عمران / ١٣٧ .

وفي دعوة القرآن إلى الاعتبار بالامم السابقة ، والأحداث الماضية حكمة بالنقة لأن الامم اليوم حين تمتلك حصيلة ثرة من تجارب الامم السابقة ، فأنها تكون أقدر على شق طريقها نحو الرقي والازدهار . وأمتنا الاسلامية بالاضافة إلى منهجها الالهي ، وفتر لها القرآن تجارب الماضين .

المبحث السادس

ملامح الأمة الإسلامية

كانت الامة قبل أن تحمل راية التوحيد ، وسناء القرآن ، لا تعبد آلهة متعددة فحسب بل إذا جاعت أكلت معبوداتها ..

هذه الامة ، استطاع القرآن الكريم أن يجعلها رائدة أمم الأرض قاطبة ، تحمل لواء التحرير والتوحيد للعالم منادية : ﴿ وَإِلَمْكُم إِلَّهُ وَاحد لا إِلَّهُ إِلَّا هُو الرَّحْنَ الرَّحِيمِ ﴾ البقرة / ١٦٣ . وفيا يلي نبحث في عقيدة هذه الامة ومعاملاتها وأخلاقها في المستوى النظري والتطبيقي . ونوازن بين ما كانت عليه وما آلت إليه بفضل القرآن العظم :

ا ـ عقيدتـا:

١ - في المستوى النظري:

كانت العرب تؤمن بعقائد شق ، والوثنية أكثرها شيوعاً . والآية الآتية بما تعكس من صورة ، وتجسد من فكرة ، تبين ما كان عليه الناس قبل شروق فجر التوحيد :

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كن"اب. أجمل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ، ص / ٤ – ٥ . فلم يكن لدى العربي أدنى قدرة على تحمل عقيدة إله واحد لكثرة ما شاع بينهم من الآلهة . حيث كانوا يتخذون في الأسفار من كل أحجار الأرض أرباباً يعبدونها .

هــذه العقائد جاء عليها القرآن فاجتثها من الجذور وحطــم كل الأصنام والأوثان ونادى :

دقل هو الله أجد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد »
 الاخلاص / ١ – ٤ .

بل جمل هذه الامة، التي كانت لا تعبد إلا المحسوس من الجمادات والحيوانات

والاجرام تؤمن بكل ما أوحى الله به من رسالات سابقة وما اختار واصطفى من رسل وأنبياء ، وتؤمن بالملائكة والمعاد :

« آمنَ الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفر"ق بين أحدٍ من رسله وقالوا سممنا وأطمنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، البقرة / ٢٨٥ .

٢ ـ وفي مستوى التطبيق:

تمكنت عقيدة التوحيد من قلوب الامة واستحالت وثنيتها إلى ثورة عارمة على كل ألوان الشرك ، وصمود ومجالدة ازاء المشركين : يمر وسول الله يمين على (عمار) وأبيه (ياسر) وأمه (سمية) وهم تحت سياط قريش وفوق صخور مكة اللاهبة يقاسون أفظع تعذيب وهم يحملقون في وجوه المشركين ويهزؤن ببطشهم وبنادون :

« الله واحد ... أحد ... أحد ... » .

وتزداد السياط ضراوة تنهش ظهورهم ، وتتقد الصخور حرارة تشوي بطونهم ، ويزدادون ثباتاً على العقيدة وشوقاً إلى الجنة... ويمر رسول الله عليه ولا يملك إلا أن يقول لهم :

و صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، .

وتستشهد(سمية)أم عمار تحت التعذيب فتكونأول شهيدة في سبيلالإسلام.

ب _ معاملاتها :

١ ـ في المستوى النظري:

كانت العرب – كسائر الامم – تتعاطى الربا أضعافاً مضاعفة وتأتي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتسفك الدماء المعصومة بغير حلها ، وتنهب الأموال ، وتسترق الناس ، وتستبيح الخرة والرشوة ، و . . . النح .

ودو"ى صوت القرآن ، ورددت النفوس الطاهرة صداه واستجابت لندائه، وإذا بتلك المفاسد تذهب جفاء":

و يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضمافاً مضاعفة ... ، آل عمران / ١٣٠.
 وولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ، البقرة / ١٨٨ .

وكان القتل لا يتناول المهتدي فحسب ، ولا يقف عند معركة واحدة ، بل لا يحده حد ولا ينهيه أحد . فصارت الامة التي هذا ويدنها مئات السنين أشد الناس حرصاً على دم الانسان ترى في الانسان أثن ما في الوجود ، وترى جريمة القتل العمد العدوان بمثابة إبادة جماعية للبشرية «... أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... » المائدة / ٣٢ .

۲ ـ وفي مستوى التطبيق:

فلا أدل على عمق التغيير النفسي والعملي للمحتوى الداخلي الذي حققه القرآن الكريم في المجتمع الذي شع فيه من الموقف الكريم الذي وقفه الأنصار من المهاجرين . هذا الموقف الجماعي في الأريحية والسخاء الذي كلل هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ، بغار نكران الذات ، إن هذا الموقف له أكثر من دلالة ، ففي الوقت الذي يفارق فيه المهاجرون أموالهم وأهليهم ، ويهاجرون هجرة النفس إلى الله ، وهجرة الجسد إلى موطن يجدون فيه الحماية والأمن ، نجد أن الأنصار وهم أهل بلد آخر ، ولكنهم ارتبطوا معهم برباط العقيدة ، فأغرت الأنصار وهم أهل بلد آخر ، ولكنهم ارتبطوا معهم برباط العقيدة ، فأغرت الإسلام بين قلوبهم وصاروا بنعمته إخواناً . وكانوا على شفا حفرة من النسار فأصبحوا من أبرار الجنة وأخيارها .

ج _ أخلاقها :

١ ـ في المستوى النظري :

يمتاز الإسلام بالواقعية في كل ما جاء به : من عقائد وأحكام عملية ومثل وقيم خلقية . وهو يتفق مع الفطرة الإنسانية ، ويستجيب – بتحفظ عجيب –

للغرائز ، وينسجم تماماً مع سنن النظام الكوني .

ولهذا نجد أنكل أمر نزل به القرآن قد تحقق أو هو قابل للتحقيق والتطبيق ولم يأت القرآن بوسيلة أو غاية ، إلا وكان لهــا النصيب الأوفر من الواقعية والديمومة .

فلقد بدأ القرآن ينزل نجوماً ، وكان بهذا الاسلوب في النزول غاية في الحكة والواقعية ، حيث كان الفساد ، من خمر وظلم وعدوان ورق وأنانية واحتقار للمرأة واعظام للمال وازدراء للفقراء ، وغيرها من الشرور المستطيرة في كل شعب الحياة ، فاستطاع أن يقتلع كل المفاسد الاجتاعية ، لا بإصدار أو امر أو قرارات فاشلة لا يكتب لها الاصدار إلا وتمنى بفشل في الالتزام والتطبيق - كا فعل إبراهيم لنكولن في محاولته الشهيرة الخائبة في تحرير العبيد ، أو كا حاولت أمريكا تحريم الخور ففشلت - وإنما مهد لغاياته العليا بتهيئة الجوانب النفسية والعوامل البيئية المناسبة ، لكي تخرج كل محاولاته التغيرية إلى النور ، ومعها كل أسباب النجاح والبقاء ...

ولهذا نجد القرآن الكريم حين نهى عن الكبر و ولا تمس في الأرض مرحاً و وعقوق الوالدين و ولا تقل لها أف والبخل (ولا تجعل يدك مفاولة إلى عنقك) والاسراف و ولا تبسطها كل البسط و ونهى عن أن يعيب المسلم على أخيه المسلم ولا تلنزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب والغيبة و ولا يغتب بعضكم بعضاً وسائر الأخلاق الذميمة بما كان سائداً معتاداً في المجتمع الجاهلي، وحين أكد على صلة الرحم ... و واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحسام وأمر بالتعاون والإحسان والإنفاق على الأقرباء المحتاجين والجار وسائر الفقراء وأوصى بالصدق والعدل وقول الحق ومقاومة الطغيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الضعيف وقضاء حوائج الناس ونحو ذلك من الصفات الجميلة والخلال ومساعدة الضعيف وقضاء حوائج الناس ونحو ذلك من الصفات الجميلة والخلال الشاملة ، كان يحقق أمثلة حية من روائع الناذج الخلقية ، متمثلة فيمن آمن به الشاملة ، كان يحقق أمثلة حية من روائع الناذج الخلقية ، متمثلة فيمن آمن به واتبع الرسول من المسول المسول من المسول من المسول من المسول من المسول من المسول من المن المن المسول من المسول من المسول المسول من المن المسول من المساعدة المسول من المساعدة ال

فاستطاع القرآن بكل جدارة ، أن يستبدل المفاسد والشرور التي طبقت المجتمع الجاهلي ، بمكارم الأخلاق ، وأن يشيع فيه من الأعراف والقيم والمثل ، ما تتحرى البشرية اليوم عن آثارها ، وتلتمس عودتها وتنشد مصاديقها .

٢ ـ في مستوى التطبيق:

ولقد كانت الأنانية هي السائدة لدى الجاهليين و والاثرة هي الغالبة عليهم ، والتعصب هو الطاغي فيهم ، وإذا بالقرآن الكريم يحول هذه الهنات إلى نكران ذات ، وإيثار وأريحية ، لا يكاد المرء يتصورها ، أو يعقلها ، لولا أنها وقائع مادية ملموسة ، شهدتها الدنيا وأنارت صفحات مجيدة من تاريخ أمتنا الإسلامية .

... تجتمع قريش وتجمع على اغتيال رسول الله ﷺ في فراشه وهو نائم فيتقدم إليه الإمام على علي علي الله قائلا: يا رسول الله نفسي لنفسك الفداء...ويبيت في فراشه وهو على علم بما دبرت قريش من مؤامرة – وتشاء إرادة الله أن ينجو النبي والوصي من كيد المشركين وتكون كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا ويهبط الأمين جبرائيل مرتلا: « ومن الناس من يشري نفسه ابتفاء مرضات الله ... ، البقرة / ٢٠٧ . « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... ، التوبة / ١١١ .

... ويشب اوار الحرب ويشتد القتال ، ويسقط المجاهد في ساحة المعركة ، فيؤتى له بالماء ليشرب ، فيشير إلى جريح إلى جانبه : أن اسقوه ، فإنه سقط قبلي ، ويصل الساقي إليه ، فيشير إلى جريح ثالث آخر قائلاً : اسقوه فإنه سقط قبلي ، ويصل الساقي إلى الجريج الثالث فيجده قد استشهد، ويسرع الثاني فيلقاه قد مات ، ويعود إلى الأول وإذا به قد فاضت روحه الزكية الأبية !!! هذا الشعور الإنساني يتجلى بفضل القرآن لا في حالة أمن ودعة وسلام حيث تسود المجاملات بل في سوح القتال حيث كان المفروض أن يعب الجريح الماء عباً الكن شيئاً من ذلك لم يقع لأن الجرحى أرخصوا الحياة واستعذبوا طعم الشهادة والنصر والجنة ...

... ويؤتى بالمحارب المشرك لتنضرب عنقه ، فيقوم ولده المسلم منادياً : يا رسول الله عنه الله عنه أن المشرك ، ولا تدع غيري يقتله ، خشية أن أرى قاتل أبي فتعود لي عصبية الجاهلية فأقتله ، فأكون قد قتلت مسلماً بدم كافر فأدخل النار!!!

... ويقف جعفر بن أبي طالب يردّ على رسولي قريش (عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة) بين يدي النجاشي ملك الحبشة قائلًا :

أيها الملك: كنا قوماً في جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور وأكل مال اليتم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (١١) ...

« قل تعالوا أتل' ما حرَّم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . . . ، الأنعام / ١٥١ – ١٥٢.

هذه أمة القرآن في عقيدتها ومعاملاتها وأخلاقها على الصعيدين النظري والتطبيقي فياكانت عليه قبل الإسلام وما آلت إليه بعد بزوغ فجره. ولمل سائلًا يسأل: لم لا تكون أمتنا اليوم كامتنا بالأمس في وحدة كلمتها وقوة سلطانها ورفعة مكانتها وسؤددها وعزها ؟

⁽١) محمد حسنين هيكل : حياة محمد ص ٥٥٠ .

والجواب: إن القرآن خصوصاً والإسلام عموماً ، اليوم أقدر من أي يوم مفى على جمع شمل الإنسانية وبناء حضارة عالمية على أرسخ دعائم وأقوى أسس وأرفع مفاهيم ، لا سيا بعد أن اتجه الرأي العالمي نحو إيجاد وحدة تشريعية عالمية تعلو على سيادة دول العالم متمثلة في هيئة الامم المتحدة وسائر المنظمات الدولية ، كا أيدت المكتشفات والخترعات العلمية جميع ما جاء به القرآن من حقائق ، فامتنا اليوم أكفأ منها في أي يوم مضى على قيادة ركب البشرية إلى ساحل السعادة والاستقرار والسلام .

ولكن لا بد من شرط يضمن نجاح امتنا اليوم في سيرها كما ضمن لها النصر بالأمس: هو: العمل بالإسلام والتمسك بقيمه وأفكاره وأحكامه وأخلاقه كما تمسك المسلمون الأوائل وعملوا فأحرزوا النصر الساحق في كل الميادين. فمن عثان وابن مسعود ، وأبي: (أن رسول الله ميه كان يقرئهم العشر ، فلل يجاوزونها إلى عشر اخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل - فيعلمهم القرآن والعمل جميعًا) (1).

وحين تعي أمتنا وتدرك أن السر يكن لا في بجر"د وجود القرآن بين أيدينا ولا في وجود الملايين من المسلمين – وهم اليوم غثاء كغثاء السيل – بل في تلاحم الوجودين معاً فتكون امتنا حينذاك تعمل بما تؤمن به ، وعند ذاك : فسوف لا نجد أي لون من ألوان السيطرة الأجنبية في أي جزء من بلاد المسلمين، وستكون الامة أعز امم الأرض د أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد / ٢٤ .

⁽١) تفسير القرطبي ج ١ / ٣٩ ، السيد الخوثي : تفسير البيان ص ٣٨ ، الطبري : التفسير ج ١ / ٨٠ .

الفصل الثالث

تنزيل القرآن الكريم

- نزول القرآن وتنزيله .
 - كيفيات الوحي .
- أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل .
 - التدرُّج في تنزيل القرآن .
 - أسباب النزول .

المبحث الاول

نزول القرآن وتنزيله

تنزلات القرآن ؛ بعض آيات القرآن الكريم قررت نزول القرآن في شهر رمضان :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى ً للناس ... » البقرة / ١٨٥ .

إنا أنزلناه في ليلة القدر > القدر / ١ .

وبعضها قررت تنزيله منجماً (خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة) :

و وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونز لناه تنزيلا ، الإسراء / ١٠٦. في حينانا نعلم أن الرسول الأمين مَيْمَالِيُّ بعت بالرسالة في السابع والعشرين من شهر رجب – على أقوى الروايات – وإن أول ما نزل من القرآن هو ما صاحب البعثة الشريفة ، وهو قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحم إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق ... » العلق / ١ – ٢ . وبعدها نزلت سورة المدثر .

ومنها يتبين : أن القرآن أنزل في ليلة القدر ، وتم تنزيله طيلة البعثة النبوية ، وإن أول ما نزل من القرآن هو في شهر رجب ، فكيف يمكن التوفيق بين ما يبدو من تعارض ؟

لا بد من التفريق بين معنى الانزال والتنزيل. والأصل في (النزول) هو الورود على المحل من علو ، والعلوكما يكون مكانياً: فيقال علا الطائر إذا ارتفع عن مستوى الأرض ، فقد يكون شأنياً: فيقال علا مستوى الطلبة – مثلاً – عين تزداد معارفهم ويرتفع مستوى معلوماتهم.

فللإشارة إلى أن رسول الله ﷺ ، تلقى القرآن الكريم من جهة عليا هي الله تعالى جاء التعبير عن وحيه بالنزول .

على أن هنا فرقاً بين (الانزال) و (التنزيل) رغم دلالتيها على الورود التدريجي .

وحين يتضح معنى كل من الانزال والتنزيل فلا يبقى تمارض، ويكون معنى قوله تمالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » وقوله تمالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » في رأي عدد من العلماء ، هو النزول الدفعي القرآن الكريم ، أو الاجمالي ، بمعنى (أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعدها منجماً) قال الزركشي: وهذا القول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون (١٠).

وقال القسطلاني (كما أنه كان في نزوله مع أفضل الملائكة في ليلة مباركة إلى سماء الدنيا جملة واحدة في بيت العزة خيرات متزايدة) (٢) .

ويبدو أن الهدف من إنزال القرآن دفعة واحدة ، للمرة الأولى ، هو تنوير النبي ﷺ بالمعارف الإلهية الكبري ، وأسرار الكون العظيمة ، ليمتلىء قلبه يَجْمَعُ بالمعارف الإلهية الكبري ، وأسرار الكون العظيمة ، ليمتلىء قلبه يجمَعُ بالعلوم القرآنية ، والحقائق الكونية الجليلة ، قال الزنجاني : (على أنه يمكن أن نقول بأن روح القرآن ، وهي أغراضه الكلية التي يرمي إليها تجلت لقلبه الشريف ، في تلك الليلة و نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، الشعراء / ١٩٤) .

⁽١) البرمان ج ١ / ٢٢٨ .

⁽٢) لطائف الاشارات ج ١ / ٢١.

فيكون ممنى قوله تعالى: ﴿ إِنَا نَحْنَ نَرْ لَنَا عَلَيْكُ القرآن تَنزيلا ﴾ الانسان / ٢٣. وقوله سبحانه : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونر لناه تنزيلا ﴾ الاسراء / ١٠٦ . ونظائرها من الآيات يفيد (التنزيل) لا (الانزال) ، وهو تنزيل القرآن منجماً وبصورة تدريجية . قال ابن عباس : (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة (١) ، وعنه أيضاً أنه قال : الذي (أنزل فيه القرآن) جبريل بالقرآن جملة إلى السماء الدنيا . . . ثم نزل به بعد ذلك على محمد مَنْ الله المورة . . . ثم نزل به بعد ذلك على محمد مَنْ الله الله وسورة . . .) (١) .

ولعل تنزيل القرآن تم لعلل منها: تربية الامة وترويضها وهدايتها وتمكينها من التطبيق والالتزام بالأحكام وما إليه مما سنذكره فيما بعد أن شاء الله تعالى مو يتبين أن القرآن الكريم قد أنزل دفعة إجمالية على الرسول عَنْهُمُ أُو إلى

السماء الدنيا . ثم تدرج نزوله طيلة حياته بعد البعثة .

ومن هذا البيان نفهم قوله تعالى : « الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكم خبير ، هود / ١ . فإنها تشير إلى القرآن حالة كونه محكماً وقد أنزله الله تعالى على الرسول مَنْ الله واحدة ثم فصل تفصيلاً حين تنزل عليه آيات متفرقات خلال مدة الدعوة النبوية .

ومنه يظهر أن الرسول ﷺ حين تنزل عليه الآيات والسور كان على علم سابق بمحكم القرآن ، لنزوله عليه جملة ودفعة واحدة . وهذا المعنى هو ما يلوح من قوله تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب ردني علماً ، طه / ١١٤ . فإنها وأمثالها من الآيات (ظاهرة في أن الرسول

⁽١) ابن كثير : فضائل القرآن ص ٢ .

⁽٢) تنوير المقباس: تفسير ابن عباس، مطبوع مع الدر المنثور للسيوطي ج ١ / ٨٦.

مَنْ الله على على الله على على الله على عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي) (١) .

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ، من بيان تنزلات القرآن ، ما ورد عن ابن عباس أنه سأله ابن عطية الأسود فقال : وقع في قلبي الشك ، قول ه تعالى : وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وقوله تعالى : و إنا أنزلناه في ليلة القدر » . وهذا نزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة ومحرم وصفر وربيم!! فقال ابن عباس : إنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم) (٢) .

المبحث الثاني

كيفيات الوحى

نزل القرآن الكريم على الرسول الأمين ﷺ كا نزلت الرسالات السابقة على الأنبياء : وحياً .

والوحي لغة : الاعلام الخفي السريع .

واصطلاحاً؛ الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسلة وأنبيائه لاعلامهم ألوان الهداية والعلم . وإنما جاء تعبير الوحي عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الآخرين ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي ، قسال سبحانه : ﴿ إِنَّا أُوحِينَا إِلَى نُوحِ وَالنَّبِينِ مَنْ بِعَدُهُ . . . ﴾ النساء / ١٦٣ .

⁽١) الطباطبائي : تفسير الميزان ج ٢ / ١ ٢ وما بعدها .

⁽٢) السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ج ٢ / ٢٠٠ .

وورد أيضاً في (النظم الاسلامية) : (لقد نزل وحي القرآن إلى السماء السقلى ومن ثم نقل إلى الرسول بحسب الوقائع منجماً) . . . غود فروا ، ص ٧٧ .

ولقد وردت كلمة الوحي في القرآن وأريد بها ممان كثيرة ، لسنا بصدد استقصائها، والذي بصدده هو ورودها بمنى طريقة اتصال الله تعالى بن يصطفي من الناس .

ولهذا المعنى للوحى ثلاث صور :

الاولى ؛ إلقاء المعنى في قلب النبي ﷺ ؛ أو النفث في روعه ، بحيث يحس بأنه تلقاء عن الله تعالى . كا قال ﷺ : (إن روح القدس نفث في روعي ...) .

الثانية : تكليم الله النبي من وراء حجاب ، كيا نادى الله موسى من وراء الشجرة فسمع نداءه د . . . وكلم الله موسى تكليا ، النساء / ١٦٤ .

الثالثة : أن يلقي ملك الوحي المرسل من قبل الله تعالى إلى أحد أنبيائه ، ما كلتّف بإلقائه إليه ، سواء أكان هذا الملك على هيأته الملكية ، أم على هيأة رجل : (كما في الصحيح : وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) (١).

ولقد حصرت الآية التالية هذه الصور الثلاث بقوله تعالى :

وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يوسل
 رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم » الشورى / ٥١ .

كها تدل الروايات الواردة أن الرسول بَهُمْ اللهُ تلقى الرسالة الفرّاء وآيات وسور القرآن الكريم وحياً عن طريق الملك جبريل أحياناً ، وأحياناً كثيرة أخرى بمخاطبة الله تعالى لـه مباشرة . ففي الحديث أن الإمام جعفر الصادق عنستها سئل عن الغشية التي كانت تأخذ النبي بيه الله المان عند هبوط الأمين جبريل فقال : لا و إنما ذلك عند مخاطبة الله تعالى إياه بغير واسطة .

⁽١) السيرطي : معترك الأقران ج ٢ / ه ٢ ، الانقان ج ١ / ٤٤ .

المبحث الثالث

أوّل ما نزل من القرآن وآخره

باستثناء النزول الاجمالي للقرآن الكريم ، وسواء قلنا بنزوله على رسول الله على رسول الله على رسول الله على أبي عملاً إجمالاً ، أو نزوله إلى السماء الدنيا ، فإن تنزيل القرآن بدأ بسورة العلق في مكة . فمن أبي عبد الله مناها الله على رسول الله على أبي عبد الله على أبي المحتى أبي الله الرحمن الرحم إقرأ باسم ربك الذي خلق ... » .

وقال الزنجاني (٢) : الصحيح ان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِقْرَأُ باسم ربك الذي خلق ... » .

وآخر ما نزل من السور ﴿ إِذَا جَاءَ نَصَرَ اللهُ وَالْفَتَحَ ﴾ (٣) . وقال اليعقوبي : ﴿ وقيل آخر ما نزل من الآيات ﴿ اليوم أكملت لَكُم دينكُم وأُتمَمَّت عليكُم نعمتي ورضيت لَكُم الإسلام ديناً ﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة .وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم ﴾ (٤) .

وقيل (°) آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَقُوا يُوماً تُرْجَعُونَ فَيهُ إِلَى اللَّهُ ثُمَّ تُوفَى كُلُ نَفْسُ مَا كُسبت وهم لا يظلمون ﴾ البقرة / ٢٨١ . قال الماوردي (٦) هذه الآية نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . وقيـل آخر آية نزلت آية التحريم الربا (٧) .

⁽١) انظر مجلة رسالة الاسلام ، بغداد ٩ و ١٠ السنة الثانية ص ٢٩ .

⁽٢) الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٣٠ .

⁽٣) الزركشي : البرهان ج ١ / ٢١٠ .

⁽٤) تاريخ اليعقوبي : ج ٧ / ٥ ٣ .

⁽ه) الطبرسي : مجمع البيان ج ٢ / ٣٩٤ ، النيسابوري : أسباب الغزول ص ٩ .

⁽٦) الزركشي : البرمان ج ١ / ١٨٧ .

⁽٧) المصدر نفسه ج ١ / ٢١٠ .

هذا ومن المؤكد ، أن اختلاف الروايات في آخر ما نزل من آيات القرآن ، سببه هو غلبة ظن الرواة ، واجتهاداتهم ، فكل منهم يروي آخر ما سمع من رسول الله ﷺ ، قبيل مرضه ، ثم فارقه . كما يحتمل أن تنزل الآية فيتلوها الرسول مع ما بعدها مما سبق أن نزل ، لتكتب معا فيظن السامع أن ما يتلوه الرسول هو آخر ما نزل .

وكانت الآيات تنزل طيلة الحياة النبوية بعد البعثة ، لا على تسلسلها الوارد في المصحف المدون ، فلربما نزلت آية أو بضعة آيات من سورة ، ثم نزلت آيات أخر من سورة اخرى ، وكان رسول الله ﷺ بتعليم من الله تعالى يلحق الآيات بسورها ، فيقول :

(ألحقوا الآية كذا بالسورة كذا ...) قـــال ابن عباس : كان جبرائيل إذا نزل على النبي بالوحي يقول له ضع هـــذه الآية في سورة كذا في موضع كذا) (١) .

ودل" استقراء الأحاديث ، أن أكثر القرآن نزل مفر"قا (٢) وأن الملك الأمين كان يقرى، رسول الله ﷺ ما نزل من القرآن الكريم كل عام ، وأن جبرائيل عرض القرآن على رسول الله ﷺ مرتين في العام الأخير من حياته الكريمة (٣).

المبحث الرابع

التدرَّج في تنزيل القرآن الكريم

تم تنزيل القرآن الكريم وفق منهج الإسلام في تغيير المجتمع البشري، وطبقاً

⁽١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ / ٣٦ .

⁽٢) الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٣٣ .

⁽٣) ابن كثير : فضائل القرآن ص ٣ .

لفطرة الانسان . وان هدذا التوافق بين تنزيل القرآن منجماً من جهة ، وبين طريقة الإسلام التدرجية في تغيير المجتمعات من جهة ثانية ، وبين سنة الله تعالى في تغيير المجتمعات التدريجي ، لهو آية من آيات وحدة مصدر الكون والحياة والانسان ، كما فيه دلالة قطعية على أن مصدر القرآن هو خالق الانسان ، وإلا كيف حدث هذا التوافق ، وتم تقل المجتمع البشري من حضيض ما ال إليه أمره إلى المستوى الإنساني اللائق الذي شهده العالم في ظل سيادة الإسلام العظيم ...

لقد كان لتدرئج تنزيل القران أثر بالغ في نشر الدعوة الإسلاميه وسنبحثه في المطلب الأول ، كما أن هذا التدرج في التنزيل تم لحسكم تخص القران والرسول والمكلفين من الناس وسنبحثها في المطلب الثاني .

المطلب الأول

أثر تدر^مج ثنزيل القرآن في نشر الدعوة الإسلامية

إن التغييرات الاجتاعية ليست عملية (ميكانيكية) بالنسبة للفرد والمجتمع بل هي حركة (ديناميكية) يتغير بموجبها المحتوى الداخلي للانسان ، فتتغير بذلك المظاهر العامة لحياة المجتمع . لذلك فإن أهم شرط من شروط نجاح أية فكرة تغييرية ، أن تنفذ إلى فطرة الانسان ، وأن تكون متساوية معها ، غير متنافرة مع متطلبايها ، وحاجاتها الضرورية ، وإلا فنصيبها الفشل العاجل أو الآجل .

ولقد عشنا ، وسممنا كثيراً من (الاظروحات) التغييرية التي تطرح في الساحة الانسانية أملاً في أن يؤمن بها الفرد ، وتسود الجماعة ، ولكن سرعان ما تغدو فقاعة صابون تنجاب بأول هزة ، أو أن تبقى نظريات بجردة تحتجنها بطون الكتب ...

ومن الجلي أن (الاطروحة) الإسلامية مدهشة للغاية ، من حيث ميزاتها الذاتية ، واثارها التطبيقية . فإنها في عمقها التشريعي وشمولها لكل ألوان النشاط الإنساني ، الفردي والجمعي ، وعلى كل صعيد من جهة ، وسرعتها الخارقة التي استطاعت خلالها أن تجسد عقائدها وتشريعاتها ، وتمثل قيمها ومثلها وتحقيق أهدافها وأغراضها ، من جهة اخرى ، قد تميزت بميزات أفردتها عن سواها ، وسجلت في هذا الجال نصراً لم تشهد مثيله الانسانية

ولو تدبرنا طريقة الدعوة الإسلامية لوجدناها أخذت بالتدر أج في ثلاث عالات :

الأول ـ التدرج في موضوع الرسالة :

حيث بدأ الاسلام بتغيير عقائد الناس وأفكارهم أولاً ، ثم راح يضع لهم القوانين والتعالم ، التي تنظم الفرد والمجتمع ثانياً ، وذلك لأن الانسان يسهل عليه أن يغير فكرة سبق أن آمن بها ، وأن يقتنع بفكرة جديدة قام الدليل على رجحانها ، في حين يعسر عليه ويشق أن يغير تعاملاً سلوكياً سار عليه واعتاده . وهذه (القضية) واضحة من تدبر طبيعة الآيات التي نزلت في مكة فإنها : عقائدية بصورة عامة ، أما الآيات التي نزلت بعد الهجرة فإنها: تشريعية عملية بصورة غالبة .

الثاني _ التدرج في نشر الرسالة :

حيث باشر الرسول ﷺ رسالته الكريمة بدعوته عشيرته الأقربين وأنذر عشيرتك الأقربين ، ثم اتسمت الدعوة فبلغها للناس من حوله و فاصدع بها

تؤمر ... ، ثم راح يخاطب الملوك والرؤساء في العالم (١) يعرض عليهم الإسلام باعتباره رسول الله إلى الناس جميماً .

ومن الجدير بالذكر والتأكيد: أن طبيعة رسالة الإسلام كانت منذ البداية وبالأصل (للناس جميعاً) حتى يوم القيامة ، ولكن التدرج وقع في مباشرة الرسالة ، كطريقة طبيعية ومضمونة النجاح . وليس الأمر كما يدعي بعض المستشرقين ، من افتراء وتهم ، يرمون بها رسول الله عَلَيْنَ مَن أنه لم يكن يفكر أول الأمر بالناس وبالدولة ، وإنما كان قصده أهله وعشيرته ، وحين اتسقت له الامور ، وسع رسالته ونشر دعوته وأقام دولته ... فإن هذه الفرية مردودة من أساسها وواضحة البطلان بنصوص القرآن الكريم .

الثالث ـ التدرج في الأساليب ،

حيث بدأ رسول الله الدعوة: بالقول اللين والارشاد والموعظة الحسنة. ثم ثنى بالمواقف السلبية والمقاطعات السلمية ، والنهي عن الركون إلى الأعداء ، أو موالاة الجاهلين ، وأعداء الإسلام. ثم أردف ذلك بمقاومة المعتدين ، وجهاد من يقف حائلا دون حرية الرسالة الغراء في دعوة الناس إليها. وهذا التدرج ظاهر من آيات التصبر والتسلية التي كانت تنزل على الرسول من التسليته عما يعاني من اضطهاد قريش. ثم أذن الله تعالى بقتال من يقاتل المسلمين فمارس رسول الله يمين الدفاع الشرعي لحماية المسلمين من العدوان وإتاحة المجال لمارسة التبشير بالإسلام.

لقد كان لهذا التدرج في مجالاته الثلاث أبلغ الأثر في شمول الإسلام للعالم ، وفتحه للقلوب قبل الأقطار ، ودون أية مقاومة شعبية تذكر ، في أكثر البلدان التي حررها الاسلام .

وإن الطريقة التدرجية التي مارس الاسلام بموجبها دوره في الهداية والتنظيم

⁽١) راجع كتابنا التفسير ، فصل التنظيم الدولي ، رسائل النبي (ص) إلى الماوك والرؤساء.

الواسع الشامل وليجسد حقيقة ناصعة ، هي أن الاسلام التشريع الأصلح والأمثل للانسان باعتباره (دين الفطرة) : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون الروم / ٣٠ .

وان هـذه الطريقة كانت نتيجة حتمية لنزول القرآن منجماً. إذ أن من الواضح لو نزل جملة ، لوجب تكليف الناس به دفعة واحدة . ولكان الأمر على غير ما حدث . ولكن حكمة الباري عز وجل ولطفه ورمحته بالناس ، كل ذلك يسر على الناس الأمر وضمن للرسالة النجاح والانتشار السريع .

المطلب الثاني

حِيمُ تدرُج تنزيل القرآن

على ضوء ما سبق بيانه ، نامس أن التدرج في التنزيل جاء منسجماً مع طبائع المجتمع ، ومقرراً اسلوب الاسلام في العمل الاجتماعي ، لا سيما وأن القرآن يمثل المصدر الأول للتشريع الاسلامي .

ولم يكن هذا التدرج إلا لحكم إلهية بالغة ، اقتضتها مشيئة الله تعالى وأحاط بها علمه الذي أحاط بكل شيء. ووضع لكل شيء قدراً . ونحن وإن كنا نجهل تلك الحكم مجقائقها ، غير أن حين نذكر بعضها فإنما نذكر ما وقفت عليه عقولنا وأدركته أفكارنا ، ودون أن ندعي ان ما ندركه هو الحقائق الشرعية الثابتة القطعية بل هي حكم راجحة ظاهرة .

ويمكن تصنيف هذه الحِكم إلى ثلاثة أصناف : حكم تخص الرسول الكريم من وعليه عنه و الحريم القرآن ، وثالثة تخص الناس :

اولاً ـ حكم تخص الرسول ﷺ :

(١) اظهار عظمة الرسول ﷺ :

إن نزول القرآن جملة في شهر رمضان في ليلة القدر ، وتردد الوحي على

رسول الله ﷺ من لدن البعثة المباركة حتى وفاته تفصح عن عظيم مكانته عند الله تمالى ، وسمو منزلته ، لأن الجيب يكثر من ملاقاة محبه ويزيد من تردده عليه .

(٢) تثبيت فؤاد الرسول ﷺ ،

إن الرسول ﷺ بشر . وقد أنيطت به مهمة تحويل مجرى حياة البشرية ، تحويلاً يستمر إلى يوم القيامة ، وإرساء قواعد حضارة تبقى صالحة كر" الدهور، وحمل رسالة كتب الله تعالى على نفسه أن يظهرها ، وينصرها على الدن كله .

ومع عظمة المسؤولية الملقاة على رسول الله ﷺ ، نجده عديم المال فاقد الأنصار ، لا يملك من الوسائل التغييرية ، إلا أصالة الرسالة التي يحملها ، وقوة الإيمان الذي ينطلق منه ، فليس معه أحد إلا الصفوة من أهله وعشيرته ، أما سائر أفراد عشيرته وجميع الناس حوله ، فيقفون وجها لوجه أمام دعوته ، بكل ضراوة ، وبشراسة لا توصف .

ولا غرو أن مثل هذه المهمة صعب جداً ، بل هو فوق طاقة البشر . فكان لا بد من إمداد غيبي مستمر ، حتى يكمل الدين ، وتتم النعمة ، ويسود الاسلام . وكان هذا الامداد إسعافاً ونجدة إلهية ، تربط جنان الرسول ﷺ بآية تسلية أو بتأكيد النصر له ، كلما أدلهم الخطب ، واعصوصب الأمر .

ولطالما كان الملك جبريل ، ينزل إليه ﷺ لتسليته : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا ، المزمل / ١٠ ، « واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، الأحقاف / ٣٥ . « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ، فاطر / ٨ .

وكان الوحي بأمر الله ، يدرأ عن الرسول ﷺ ما يكال له من الأكاذيب والتهم ، ومما نزل في هذا المجال قوله تعالى: ﴿ قد نَعْلُمْ إِنْهُ لَيْحَرَنْكُ الذِّي يقولون فَإِنْهُمُ لَا يَكَذَّبُونَكُ وَلَكُنَ الطَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يُجِحدون . ولقد كذّبت رسل من

قبلك فصبروا على مـاكذَّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ...» الأنمام / ٣٣ ــ ٣٤ .

(٣) تيسير حفظ القرآن ،

إن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وإن تدرُّج تنزيل القرآن الكريم ، يسرّ عليه حفظه ، بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنهم كانوا يقرؤون ويكتبون فيمكنهم حفظ ما ينزل إليهم من الشرائع والرسالات .

فلقد كان موسى تنبيخ كاتباً ، كا تذكر التوراة التي بأيدينا. فقد جاء فيها: (وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأنني مجسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك... فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر) (١٠).

وقال الفرّاء في معنى قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزَّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » الفرقان / ٣٢ . انها من قول المشركين . أي هلا أنزل عليه القرآن جملة كما أنزلت التوراة على موسى . قال الله : « ورتلناه ترتيلاً » لنثبت به فؤادك ، كان ينزل الآية والآيتين (٢) .

(وقيل معنى « لنثبت به فؤادك » أي لنحفظه فإنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ففر ق عليه ليثبت عليه حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجيع) (٣) .

(وقال ابن فورك:قيل انزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب وهو موسى . وانزل القرآن مفرقاً لأنه نزل غير مكتوب على نبي أمي (٤) .

⁽١) التوراة : سفر الحروج ، الاصحاح ٣٤ / ٢٧ ، ٢٨ .

⁽٣) الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن ج ٣ / ٣٦٧ وما بعدها .

⁽٣) السيوطي : معترك الأقران ج ٢ / ٢٠٦ .

⁽٤) المصدر نفسه .

والامية في رسول الله ﷺ صفة تعلي شأنه وتظهر إعجاز القرآن بجلاء . حيث أن القراءة والكتابة وسيلة للعلم لا غاية بذاتها . وقد جاء رسول الله ﷺ عما لم يأت به نبي ولا رسول ولا أحد من قبله ولا من بعده ، من سعة الشريعة الغراء وشمولها وسموها . ولو كان يقرأ ويكتب لما كان هذا الشأن الذي أبهر علماء العالم .

ثانياً _ حكم تخص القرآن :

١ ـ بيان إعجازه:

إن القرآن الكريم حين نزل آية أو آيتين إلى عشر آيات طيلة ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، على نسق واحد ، وسمو واحد ، دون تعارض أو اختلاف، وهو يمر خلال تنزيله بأحوال شق تعرض لرسول الله على الله من شدة ورخاء وعسر ويسر، دون أن ينعكس ذلك على القرآن ودون أن يظهر فيه أي لون من ألوان الانفعال البشري الذي تثيره تلك الأحداث الجسام ، فإن ذلك أظهر لعظمة القرآن ، وآكد لاعجازه ووحيه ، وهو يتحدى الثقلين أن يأتوا بسورة من مثله طيلة هذه الأعوام .

⁽١) قال السيوطي: (أن سائر الكتب أنزلت جملة، وهو مشهور في كلام العلماء، وعلى ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعا، وقد رأيت بعض فضلاء المصر أنكر ذلك، وقال أنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرقات كالقرآن وأقول: الصواب الأول) راجع الأدلة على ذلك: معترك الأقران في إعجاز القرآن ج ٢٠٧/٢.

وجاء أيضا : (أن نزول التوراة على موسى كان على زمان تكليمه ... متراخيا في أكثر من أربعين سنة) تفسير شبر ، هامش ص ١٢ .

٢ ـ بيان الميزة العملية للقرآن :

لم يكن القرآن كتاباً نظرياً يطرح في المجتمع ليتفاعل معه . وعلى ضوء ما تتمخض عنه التجربة تجرى عليه التعديلات اللازمة ، ويمارس فيه النقض والإبرام . إن هذا هو شأن ما يتولد عن العقل البشري ، حيث أن العقل محدود فما يتولد عنه لا بد أن يكون محدوداً . أما القرآن الكريم فإنه (الركتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، هود / ١ .

لقد جاء القرآن ليطبق ويهتدي به الناس وينظم شؤونهم المعاشية والمعادية ، وليقرر الحقوق والواجبات للفرد والجماعة ، ويقيم الموازين القسط بين الناس . لذا كان لزاماً أن يأتي مطابقاً لسنة الله في تغير المجتمعات وتطورها التدريجي . وهكذا تم تنزيل القرآن على هذه السنة : يأتي إلى الناس شيئاً فشيئاً ، فيتغير الناس بموجبه شيئاً فشيئاً حتى كمل تنزيل القرآن فكان المجتمع قد تغير بكامل جوانبه .

فالجانب (العملي) في القران ليس في المجال الموضوعي وما جــاء به من تشريعات وأحكام وقواعـد ونحو ذلك فحسب، بل أنه كان (عملياً) في الطريقة أو الاسلوب الذي تم تنزيله، ولولا هـذا الاسلوب لما امتاز بسمته العملية الذي ميزته وأكسبته قوة فعالة إلى جانب قوته الموضوعية الأصلية في التأثير.

٣ ـ أولوية الوحي :

مما روعي في تنجيم القران أولوية ما يكون مائلاً من الوقائع . إذ أن بسط الموضوع نظرياً ليس له من التأثير – عقائدياً واجتماعياً – كما لو نزل الحكم إثر واقعة من الوقائع، أو عند احتياج الناس إليه الأمر الذي كان يكسب الأحكام صفة الالتزام المباشر من قبل الناس . فإذا انزلت اية في أحكام الأسرى، وليس لدي المسلمين أسري فإن الالتزام بها سيكون في المستقبل . ولكن حين تنزل إثر وقوع المشركين أسرى والمسلمون لا يعلمون أحكامهم هل يفدون ؟ أم

يُطلق سراحهم منا؟أم؟فإنه بما لا شك فيه سيكون لنزولالقرآن حسب الحاجة ومع الوقائع من الأثر التطبيقي مــا لا يكون له فيا لو نزل نظرياً دون وحود الحاحة .

وإذا كان القرآن قد نزل منجماً ، ليساير أولوية ما يستجد من الوقائع، فإن نصوصه وأحكامه التشريعية تبقى عامة شاملة لا تختص بها نزلت لمعالجته من الوقائع ، بل هي حسب القاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

٤ ـ التدرج التشريعي :

إن تنزيل القرآن تدريجياً كان تحاشياً لهزات اجتماعية عنيفة ، وردّات انتكاسية حادة ، كان من المحتمل أن تحدث ، لولا أن جاء القرآن تبعاً للوقائع والأحداث ، ووفق ما تستوعبه طبيعة المجتمع .

فالرسالة الإسلامية بعامة ، والقرآن بخاصة ، مد الناس رويداً رويداً بما يوافق تطويرهم ، من التشريعات. ولأن ما جاء به القرآن الكريم يشمل النواحي الحياتية جميعها ، فلم يكن من الحكمة أن يوضع بين بدي الناس تشريع يتناول عقائدهم وتعاملهم وأخلاقهم دفعة واحدة . ولو تم ذلك لما نفذ إلى القلوب ، ولبقي ما بقيت القوة مهيمنة ، وسرعان ما يرتد (۱) الناس عما اكرهوا عليه ، في حين نجد أن العقيدة والالتزام بالإسلام استقر في قلوب المسلمين ، وبالرغم من كل المحن والهزات التي حدثت من لدن وفاة رسول الله من المستمر في عروقهم ، الحاضر فإن الإسلام ملء قلوب المسلمين فكأنه خالط دماءهم واستقر في عروقهم ،

⁽١) لقد بالغ المستشرقون في عدد من ارتد في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، طعنا في الاسلام . والأمر لم يقع كما ذكروا ، وإنما ارتد أفراد في الجزيرة العربية وامتنع جماعة من مبايعة الخليفة ، وثارت قبائل وثنية لم تسلم من قبل ، حتى سمع أحد الأسرى يقول (ما آمنت طرفة عين قط) وامتنع آخرون عن أداء مال الزكاة ، فقال أبو بكر (لو منعوني عقالاً لقاتلتهم) فجرى قتالهم .

ثالثا _ حكم تخص الناس:

(١) قوة الالزام والاقناع :

إن نزول القرآن تنجيماً ، جمل للحكم المنزل قوة إلزامية واضعة ، باعتباره حكم الله المنزل في تلك الواقعة ، وفي ذلك الظرف . ومنحه قوة الاقتناع به ، والتسليم له ، ولنزوله عند قيام الحدث ، أو مثول الواقعة .

فالمصاحبة الزمنية بين الحكم الذي تنزل به الآية ، والحدث أو الواقعة سبب متين للامتشال والتطبيق . الأمر الذي أحدث ترابطاً وتلازماً بين التشريع والتنفيذ . ولهذا كان المسلمون ، إذا سمعوا عشراً من الآيات يهرعون لتطبيقها ، ثم يعودون للاستزادة ، ولو فرض نزوله دفعة واحدة لما تحقق ذلك .

(٢) ربط المسلمين بالمصدر التشريعي :

كان من جر اء تنجيم القرآن الكريم ، أن صار المسلمون إذا وقعت واقعة ، أو جد أمر استشرفوا هبوط الوحي ، وانتظروا حكم الله تعالى ينزل إليهم ، وفي هذا شد وثبق لتصرفات الناس بالمصدر التشريمي، وإخضاع إرادة المسلمين لإرادة خالقهم المشرع سبحانه وتعالى .

(٣) دفع الضيق والحرج التشريعي :

إن تنزيل القرآن نجوما ، جعل الشرع يحيط بالناس شيئا فشيئا دون شعورهم بأدنى حرج ، فهم ينفذون الإسلام وينسلون من الجاهلية في سياق حياتهم الاعتيادية ، من غير إلجاء ولا إكراه ، في حين لو نزل التشريع دفعة واحدة ، وألزم الناس به جملة ، لوجد الناس فيه حرجاً وكلفة ، ولعانوا منه ضيقاً ومشقة وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ، الاسراء / ١٠٦ . ومرة اخرى إن هذه الحكم إن هي إلا أفكار إسلامية ، وليست أحكاما شرعية ، وقد ذكرناها بناء على ما وقفنا عليه من أسرار التشريع ، ومقاصد الشريعة و وأحداث السيرة الشريفة . والله تعالى هو العالم المطلع على الأسرار والسرائر .

ومن الراجح أن نضيف لهذه الحكم كون القرآن يتضمن الناسخ والمنسوخ ، ومقتضاه أن ينزل منجماً. كما أنه يتضمن الانكار لما قد يقع وجواب منسيسال أمر ما ، فإن كل ذلك يقتضي نزوله منجماً . وفي علم الله تعالى من حكم التنجيم ما لم نحط به علماً . وما أوتينا من العلم إلا قليلاً .

المبحث الخامس

أسباب النزول

نتناول بالبحث في المطالب الآتية معنى (سبب النزول) وأهمية معرفته ، وتعدد النازل والحد ، ودلالة القاعدة الاصولية : العبرة بعموم اللفظ لا مجصوص السبب .

المطلب الأول

معنى سبب النزول

هل أن القرآن الكريم ما كان ينزل منه شيء إلا إجابة عن سؤال يرفع إلى الرسول ﷺ أو تحديداً لموقف يجد عند المسلمين، أو حكما لواقعة حدثت؟ أم أن القرآن كان ينزل ابتداء دون داع سابق عليه ؟ أم منه ما نزل ابتداء ، ومنه ما نزل لسبب ، فكان نزوله بناء على ذلك السبب ؟

وقبل بيان هذه الامور لا بد من معرفة سبب النزول :

سبب النزول :

هو ما نزلت من أجله اية أو أكثر مجيبة عنه أو حاكية له، أو مبينة حكمه. ومن الأمثلة على أسباب النزول :

۱ ـ مسجد ضرار :

شيَّد بنو عمرو بن عوف مسجد (قباء) ، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن

يصلي فيه ، فصلى (١) ، فحسدهم جماعة من المنافقين . فقالوا نبني مسجداً آخر ، فنصلي فيه ، ولا نحضر جماعة محمد يَهُمَّ أَنُولَ الله تعالى : و والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً و كفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون، التوبة / ١٠٨. فصار بناء مسجد ضرار سبباً من أسباب النزول .

٢ ـ إطعام المسكين واليتيم والأسير :

مرض الحسنان (ع) فنذر الإمام على عليتها صوم ثلاثة أيام الله تعالى عند شفائها ، فشفيا ، فصام وفاطمة الزهراء (ع) وجاريتهم فضة (٢) وكانوا إذا أرادوا الإفطار جاءهم في اليوم الأول مسكين واليوم الثاني يتيم واليوم الثالث أسير ، وكانوا يعطونهم افطارهم ، ويفطرون على الماء وحده في كل ليلة ، فأنزل الله تعالى د ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، الانسان / ٩ .

٣ ـ التصدق بالخاتم:

سأل سائل صدقة في المسجد . وكان الإمام علي تنطيخ راكعاً . فأوماً إليه بخنصره ، فأخذ منها خاتمه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَمَا وَلَيْتُكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الذّينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، المائدة / ٥٥ .

٤ ـ تواضع رسول الله ﷺ :

عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله مَنْ اللهُ .. فقالوا يا رسول الله ، انك لو جلست في صدر المجلس ، ونحيّيت عنا هؤلاء ، وأرواح

⁽١) نزل رسول الله (ص) بقباة على بني عمرو بن عوف في اليوم الثامن من وبيسع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة ٢٠٢ م ، ومكث بها أياما وأسس مسجد قباء وقيل أن النبي الكريم كان عمره (٣٠) سنة عند قدومه المدينة .

⁽٧) النسفي : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ج ٤ / ٣١٨ .

⁽٣) المصدر نفسه: ج ١ / ٢٨٨ .

جبابهم -- يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف ، لم يكن عليهم غيرها -- جلسنا إليك ، وحادثناك ، وأخذنا عنك . فأنزل الله تعالى : و واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا . واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالفداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، الكهف / ٢٧ - ٢٨ . فقام النبي عبر المناهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال : (الحد لله يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال : (الحد لله الذي لم يمتني ، حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي ، معكم الحيا ومعكم المهات) ١٠٠٠ .

هذه الأمثلة على أسباب النزول توضح لنا أنها ليست على نمط واحد ، وإنما قد تكون مدحاً وإطراء لموقف ، أو حلا لمشكلة و أو جوابا لسؤال أو تعقيبا على حادث أو بيانا لحكم أو نحو ذلك حسب الاقتضاء .

ويلاحظ من تعريفنا سبب النزول ، ومــا ضربناه من أمثلة عليه إن الآيات القرآنية أو السور يمكن أن تصنف بوجه عام إلى قسمين :

القمم الأول :

ما نزل لسبب وكان هـــــذا السبب هو المثير والداعي للنزول ولا شك أنه كان معاصراً للوحي . وهذا القسم من القرآن هو ما تتحدث عنه كتب التفاسير في أسباب النزول .

القسم الثاني:

ما نزل ابتداء ، دون واقعة وقعت، أو أمر حدث ، في عصر الوحي اقتضى نزول الوحي بشأنه ولأجله ، وهذا القسم يشمل أحداث الامم الماضية التي

⁽١) الواحدي : أسباب النزول ص ٢٠١ .

يسردها القرآن للتوعية والتدبر والاعتبار ، كما يشمل الأنباء الغيبية ، وتصوير البرزخ ، ومشاهد البعث والنشور ، وأحوال يوم القيامة ، وأهل الجنة والنار ، وأوصاف النار ، وقصة بناء الكعبة ، ونحو ذلك .

ومن الواضح أن قصص الامم الفابرة ونحوها وقعت قبل عصر الوحي ، ونزول الوحي عنها لغرض إعلام الرسول والمؤمنين بوقائع تلك القصص ، وأحداثها ونتائجها، وما عليه أهل الجنة من نعيم ، وما عليه أهل النار من شقاء وعذاب وهكذا ... ومع ذلك ، فقد يرفع سؤال من الصحابة أو غيرهم إلى رسول الله منه عن قصة (ذي القرنين) مثلا وما جرى له « يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، الكهف / ٨٣ . فإن هذا السؤال يعد سببا لسرد أحداث القصة على الرسول منه نكرا ، الكهف الله الناس عليها ولا يعد مثيراً لأحداثها لانها قد سبقته بقرون .

المطلب الثـــاني أهمية معرفة سبب النزول

إن للوقوف على سبب النزول أهميسة كبيرة في التعرّف على مدلول الآية ومفهومها ، ووجه الحكم الباعثة على تشريع الحكم ، إذ كما قيل (العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) . ولا شك أن صياغة الآية وطريقة التعبير عنها يتأثر إلى حد كبير بسبب نزولها . فالاستفهام مثلا لفظ واحد ولكنه يخرج إلى معان أخري كالتقرير والنفي وغيره ولا يفهم المراد إلا بالامور الخارجية ، والقرائن الحالية .

وأكثر المفسرين قدرة على اتقان التفسير وتحقيقة أكثرهم علما بأسباب النزول ، ولهذا كان أمير المؤمنين الإمام علي عليتهاد: أقدر الناس بعد رسول الله يتمالي على تفسير القرآن ، لإحاطته علما بأسباب النزول ، وهو القائل: (والله من تنزل آية إلا وأنا أعلم فيا نزلت ، وفيمن نزلت ، وأين نزلت) . وروى معمر

عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت عليا يخطب يقول: سلوني ، فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل) (١٠ .

إن لمعرفة الزمان والمكان والأشخاص وسائر ظروف (قصة) الآية أو السورة أكبر تأثير على سبر غورها وإماطة اللثام عن مكنون مرادها. والمكس بالمكس ، فالجهل بتلك الامور يؤدي إلى تعطيلها ، ولربما العمل بخلاف مؤداها ومرامها. قال الواحدي (لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) (٢٠) .

وفيما يلي الآمثلة لبيان أهمية معرفة سبب النزول :

١ ـ قوله تعالى : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » البقرة / ١١٥ .

والمتبادر من مدلول إلفاظ الآية ، ومن ظاهر سياقها ، أن المصلي لــه أن يصلي إلى أية جهة كانت في السفر والحضر ، فلله المشارق والمفارب ، فأينا يولي المصلي وجهه فقد توجه إلى الله تعالى ، وهذا خلاف الاجماع ، وهو يتمارض مع قوله تعالى : و فول وجهك شطر المسجد الحرام ، المبقرة / ١٤٤ .

وبالتمرف على سبب النزول يتضح أنها (نزلت في صلاة التطوع وعلى الراحلة ، تصليها حيثًا توجهت إذا كنت في سفر . وأما الفرائض فحسب قوله تعالى : د . . . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . . . ، البقرة / ١٥٠ . يعني أن الفرائض لا تصاوها إلا إلى القبلة) (٣) .

⁽١) السيوطي : الاتقان ج ١ / ١٨٧ .

⁽٢) الواحدي : أسباب النزول ص ٤ .

⁽٣) الطبرسي : مجمع البيان ج ١ / ١٩١ . ابن كثير : التفسير ج ١ / ١٥٨ ، السيوطي: الاتقان ج ١ / ٢٩٠ .

٣ ـ قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في العموا . . . » المائدة / ٩٣ . فقد حكي أن البمض كان يقول أن الحمرة مباحة ،
 ويحتج بالآية لجهله سبب نزولها (١) .

والقصة (٢) لما نزل تحريم الخرة وأنها رجس من عمل الشيطان ، قال بعض المسلمين كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها ، فنزلت هذه الآية : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيا طعموا ... ، الآية .

٣ ـ قوله تعالى : د ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطو"ف بهما . . . ، البقرة / ١٥٨ .

فظاهر الآية هو رفع الإثم ، ونفي الحرمة ، عمّن يسعى بين الصفا والمروة ، وأن السمي سائغ وليس فيه حرمة. وليس في ظاهر ألفاظ الآية ما يفيد وجوب السعي . وهذا فهم من لم يقف على سبب نزولها .

والقصة أن بعض الصحابة تأثموا (") من السعي بين الصفا والمروة لأنه من عمل الجاهلية (٤) فنزلت الآية ، لنفي هذه الفكرة من جهة ، ولاعلان ان الصفا والمروة من شعائر الله من جهة أخرى . فمن يجهل سبب نزو لهما يجهل الفرض من طريقة التعبير الذي جاءت به الآية ، وبالتالي فإنه سيجهل وجوب السعي بين الصفا والمروة ، ويعتبره أمراً سائغاً لمن أراده .

قال ابن عباس : (كراهية المؤمنين للطواف بين الصفا والمروة من قبل الصنمين اللذين كانا عليهما فقال – تعالى – (ان الصفا والمروة) يقول الطواف بين

(4)

⁽١) الزركشي : البرهان : ج ١/٨٦ . السيوطي : الاتقان ج ٢٧٩/١ .

⁽٢) انظر الواحدي : أسباب النزول، ص ١٤٠ – ١٤١ . الزركشي : البرهان ج ٢٨/١.

⁽٣) ابن كثير : التفسير ، ج ١٩٩/١ . وقيل لوجود (أساف) على الصفا ، و (نائلة) علىالمروة وهما صنمان كانا في الجاهلية .

⁽٤) من هـــذه القصة نعلم مدى حيطة المسلمين الأوائل وتجنبهم كل أعمال الجاهلية وتحسسهم ووعيهم واخلاصهم للإسلام .

الصفا والمروة (من شعائر الله) مما أمر الله تعالى به من مناسك الحج) (١) . ومن هذه الأمثلة يمكن تلخيص أهمية معرفة سبب النزول بالامور التالية :

١ – معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

٢ – الوقوف على المعنى المراد .

٣ ــ معرفة ما إذا كان اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص .

المطلب الثالث

تعدد الأسباب والنازل واحد وتعدد النازل والسبب واحد

أولاً - تعدد الأسباب والنازل واحد :

ذكرنا في شرحنا معنى سبب النزول: أنه قد كان يحدث في عصر الوحي ما يكون سبباً لنزول آية أو أكثر، وهذا السبب نفسه قد يتكرر في أكثر من مكان أو زمان ، أو من أكثر من شخص أو ظرف ، ويستدعي ذلك نزول الوحي بجواب له ، وتسمى هذه الحالة تعدد الأسباب والنازل – من الوحي – واحد . (ونزول الشيء أكثر من مر ة قد يكون تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه) (۲) .

فتمدد الأسباب ، قد يقتضي تعدد النزول ، وإن كان النازل واحداً مثاله ان سورة الاخلاص : نزلت نفسها مرتبين (٣) إحداهما بمكة جواباً للمشركين من أهلها ، والاخرى بالمدينة جواباً لأهل الكتاب من أهلها ، وذلك بعد الهجرة المباركة إليها. فهنا نجد تعدد الأسباب وتعدد النزول، غير أن النازل واحد (٤).

⁽١) تنوير المقباس تفسير ابن عباس : مطبوع هامش الدر المنثور للسيوطي ج ٧٠/١ .

⁽۲) الزركشي: البرهان ، ج ۲۹/۱ .

⁽٣) السيوطي: الاتقان ، ج ١/٥٣.

 ⁽٤) انكر بعضهم كون بعض القرآن تكرر نزوله أن تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه .
 انظر السيوطي : الاتقان ، ج ٦/١ .

ثانياً – تعدد النازل والسبب واحد :

كا يكون النازل واحداً والأسباب متعددة ، يكون النازل متعدداً والسبب واحد . مثاله ان ام سلمة قالت : يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ... فأنزل الله تعالى و فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل من ذكر أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفترن عنهم سيئاتهم ولادخلنتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ، فهذه آية من سورة آل عران / ١٩٥ . وأنزل أيضاً قوله سبحانه : و إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشمين والحافظين والحافظين والحافظين والخاشمات والمذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً ، وهذه آية من سورة الأحزاب / ٣٥ .

وبذلك يكون السبب واحداً ، وهو سؤال ام سلمة ، والنازل متعدداً وهو هاتان الآيتان من سورة آل عمران والأحزاب .

تعدد الآراء في سبب النزول :

وتأسيساً على ما ذكرنا فسلا تعارض إذا وردت روايات تقول ان آية و سأل سائل بعذاب واقع ، المعارج / ١ ، نزلت بسبب كذا ووردت روايات أخرى تقول أنها وردت بمناسبة أمر آخر ، لجواز أن يكون نزولها في أكثر من سبب واحد ، كا هو الحال في تعدد الأسباب والنازل واحد ، وكذا الحال إذا مساختلفت الروايات في مسا نزل من الآيات بسبب من الأسباب ، فإنه جائز أن يتعدد النازل والسبب واحد كما ذكرنا. (ومن الجائز أيضاً أن ينقل سبب للنزول

ويراد به التفسير) (١) لا سيا وقعد عرف من عادة الصحابة والتابعين (٢) ان أحدهم إذا قال : (نزلت هذه الآية في كذا) فإنه يريد بذلك ان الآية تتضمن هذا الحكم ، لا ان هذا كان السبب في نزولها .

المطلب الرابع

المبرة بمموم اللفظ لا بخصوص السبب

السؤال هو : هل السبب الذي استدعى نزول الآية يخصّص أو يقيّد المدلول القرآني المام لها ؟

اتفق علماء الاصول على أن المبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأرادوا بهذا ، أن السبب الذي نزل إثر والوحي لا يحبس التشريع العام ولا يقيده ، وإنما يكون ذلك السبب بحر د مثير لنزول الوحي ، فيشمله الحكم النازل ، ويبقى هنذا الحكم على عمومه سارياً على كل الوقائع والاحداث الماثلة لذلك السبب . مثاله :

أن الله تمالى أوحى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يـــــأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، النور/ع.

ولفظ المحصنات يشمل الزوجات وغيرهن ، فوقع الصحابة في حرج وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وهم كارهون ، وشرحوا له مسا اشكل أمره عليهم قائلين يا رسول الله : إذا رأى أحد منا رجلاً مع امرأته ان أخبر بما رأى 'جلد ثمانين

⁽١) السيوطي: الاتقان ، ج ٣٦/١ .

⁽٢) الزركشي : البرمان ، ج ٢/١ .

جلدة – لعدم البينة – وان التمس أربعة شهداء قضى الرجـــل منها حاجته وانصرف . . . فأنزل الله تعالى : « والذين يرمون أزواجَهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسُهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه من الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، النور / ٦ – ٧ .

قال الفر"اء: وقوله (والذين يرمون أزواجهم) بالزنى: نزلت في عاصم بن عدي َ لمّا أنزل الله الأربعة الشهود قال: يا رسول الله إن دخل أحدنا فرأى على بطنها رجلًا (يعني امرأته) احتاج أن يخرج فيأتي بأربعة شهداء إلى ذلك (ما)(١) قد مضى حاجته وخرج ، وإن قتلته قتلت به ، وإن قلت فعل بها جلدت الحد ، فابتلى بها (٢).

فنزول آية (والذين يرمون أزواجهم ... ، في مثل هــــذا الظرف لا يقصر حكمها على من نزلت بهم ، وإنما هي حكم عام لمن قذف زوجه بالخيانة الزوجية في أي زمان ومكان .

وهكذا شأن آية الظهار في قصة (سلمة بن صخر) حين ظاهر زوجته حتى ينسلخ شهر رمضان ، ثم واقعها فيه على غفلة منه فأنزل الله تعالى حكم الظهار. وهكذا شأن سائر الأحكام التي تضمنتها آيات نزلت بأسباب خاصة فإنها على عمومها دون أن يخصصها السبب.

ونما يؤكد هذا المعنى ما وردعن أهل بيت النبوة : (فعن الإمام محمد بن علي الباقر علي علي الباقر علي أنه قال : إن القرآن حي لا يموت ، وإن الآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمسات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين) .

⁽١) کذا وردت .

⁽٢) معاني القرآن ج ٢/٢ ، ٢ .

الفصل الرابع

الوحي المكي والمدني

- ممرفة المكي والمدني .
- خصائص المكي والمدني .

المبحث الاول

معرفة المكى والمدني

تمهيد ه

تواضع العلماء على استمال اصطلاح (المكي) على قسم من القرآن الكريم و (المدني) على القسم الآخر منه . قال اليعقوبي: (نزل من القرآن بمكة اثنتان وثمانون سورة على مسا رواه محمد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير ، ومحمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . ونزل بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة) (١١) .

ولأهمية معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم اهـــتم بهما العلماء ، ونبحث فيما بلي من المطالب: مصادر معرفة المكي والمدني والاسس التي سار عليها العلماء في التمييز بينهما ، وترجيح ما نراه راجحاً منها ، وسبب هذا الترجيح ، وأهمية معرفة المكي والمدني .

المطلب الأول

مصادر معرفة المكي والمدني

اعتمد أكثر الباحثين في التمييز بين مكي القرآن ومدنيه - بادىء الأمر -

⁽١) تاريخ اليمقوبي : ج ٢٦/٢ ، ٣٠ .

على الروايات والنصوص المنقولة التي تؤرخ السورة أو الآية أو تشير إلىزمن نزولها أو مكانه ، وعلى الأحداث التاريخية المهمة التي عاصرت النزول ، أو كان النزول بسببها . وهذا ما سلكه المستشرق الالماني (نولد كه) في بحثه تاريخ القرآن .

ثم عكفوا على دراسة ما عرفوا من مكي القرآن ومدنيه بالطريقة السابقة فاستطاعوا أن يتعرفوا على (خصائص) شائعة غالبة في المكي ، وأخرى في المدني ، تمكننوا عن طريقها من معرفة وتمييز عدد كبير من السور والآيات ، وصنفوها إلى مكي ومدني ، ودو نوها في كتب المصاحف والتفاسير، وأصبحت هذه الكتب من مصادر معرفة المكي والمدني أيضاً.

وبهذا تكونت طريقتان لمعرفة المكي والمدني :

الاولى : الطريقة الاستقرائية ؛ التي تعتمد على النقل. وقد تسمى الساعية . الثانية : الطريقة الاستنباطية ؛ التي تعتمد على المقل. وقد تسمى القياسية .

فالذين اتبعوا طريقة الاستقراء ، توقفوا عند الروايات والنصوص والأحداث التي تشير أو تؤرخ السور والآيات ، فيعرف المكي منها والمدني . أمسا الذين اتبعوا طريقة الاستنباط، فقد استندوا على ما تعرفوا عليه من خصائص للمكي والمسدني من حيث اساوب وموضوعات السور والآيات ، ثم مسيزوا بينها بناء على اجتهادهم .

ولعل أرجح الطريقتين: هو الجمع بين الاستقراء والاستنباط. فإنه بهدنا الجمع تكون النتائج أقرب إلى العلم ، وأبعد عن الظن والتخمين. إذ أن الطريقة الاستقرائية عاجزة تقريباً عن تمييز كثير من السور والآيات المكية ، لفقدانها الأحداث المهمة ، والنصوص التي تعول عليها في التمييز. كما أن الطريقة الاستنباطية طريقة قياسية أو تخمينية ، فالخصائص المستنبطة إنما هي غالبة ، وليست قطعية خاصة بالمكي أو بالمدني. لذا رجع لدينا الجمع بين السماع والقياس في التمييز.

المطلب الثاني

أسس التمييز بين المكي والمدني

حاول العلماء: اعتبار أساس فاصل يميتز بين المكي والمدني من القرآن. فنهم من جعل (الخطاب) الوارد في الآيات هو الأساس في التمييز ، ومنهم من جعل من مكان الرسول ميزالي هو الأساس ، والرهط الثالث اعتمد هجرة الرسول أساساً.

١ ـ الأساس الشخصي :

قالوا إن المكي من القرآن هو ما جاء الخطاب فيه (يا أيها الناس) لأنه خطاب لأههل مكة ، أما المدني فهو ما جاء الخطاب فيه (يا أيها الذين آمنوا) باعتبار أن أههل مكة لم يكونوا مسلمين ، فما جاء الخطاب فيه (يا أيها الناس) عرفنا أنه مكي ، وباعتبار إن أهل المدينة كانوا مسلمين ، فجاء الخطاب (يا أيها الذين آمنوا . . .) فعرفنا أنه مدني .

٢ ـ الأساس المكانى :

باعتبار أن الوحي لم يسنزل إلا على الرسول ﷺ فجعلوا مكان الرسول ﷺ عند نزول الآية أو السورة أساساً للتمييز . فإن كان ﷺ في مكة فهي مكية سواء قبل هجرته أو بعدها . وإن كان في المدينة فهي مدنية .

٣ ـ الأساس الزماني :

ومقتضاه جعل الهجرة أساساً للتمييز . فصار المكي ما نزل من القرآن قبل الهجرة إلى المدينة ، وإن كان نزوله ُ في غير سكة ، والمدني مسا نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله في مكة .

مناقشة الاتجاهات الثلاثة:

لا بــــ من بيان ان لفظ (مكمي) أو (مدني) ليس لفظاً شرعياً وليس من فرائض الامة التي حددها الإسلام ووضع له مفهوماً ليدور النقاش والترجيح بين مذاهب العلماء على أساسه، بل هو ما تواضع عليه الباحثون وسلكوا الاتجاهات الثلاثة السابقة للتمييز ببن المكي والمدني .

غير أنا لا نستطيع تصويب الأساس الشخصي ، لأن الخطاب حين يرد (يا أيها الناس) لا يراد به أهل مكة ليكون خطاباً لهم فحسب ، وحين يرد (يا أيها الذين آمنوا) أو (يا أهل الكتاب) أو (من الاعراب منافقون ...) لا يراد به أهل المدينة من المسلمين وأهل الكتاب والمنافقين فحسب ، بل يبقى العام على عمومه يشمل تطبيقاته في كل زمان ومكان .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليس كل الآيات والسور فيها خطاب ليكون اسلوب الخطاب أساساً للتمييز . ومن جهة ثالثة فأن في السور المكية خطاب (يا أيها الذين آمنوا) كما في سورة الحج / ٧٧ . وفي السور المدنية (يا أيها الناس) كما في سورة البقرة / ٢١ .

وان الأساس المكاني يرد عليه أنه حتى لو أدخلنا ما بزل (بعرفات) و (منى) و (الحديبية) ضمن الآيات المكية ، وما نزل (ببدر) و (أحد) و (سلم) ضمن الآيات المدنية تبقى لدينا آيات لا مكية ولا مدنية بحسب الأساس المكاني. نظير الآيات التي نزلت على النبي النبي المناه أنه المرائه .

أما الأساس الزماني الذي جمل (الهجرة) فيصلا بين المكي والمدني ، فإنه يشمل الآيات والسور جميعها، إذ ما من آية أو سورة إلا ونزلت إما قبل الهجرة وإما بعدها . فما نزل قبل الهجرة فهو مكي ، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، يهذا الاعتبار .

الترجيح بين الاتجاهات الثلاثة:

بجلاء مراحل دعوة الرسول كياليج

فلم تكن الهجرة النبوية حدثاً عابراً في حياة الرسالة الغراء، والدعوة المباركة بل هي حدّ فيصل بين مرحلتين من حياتها : الاولى مرحلة التغيير والكفاح العقائدي ومقاومة الشرك والوثنية وتكوين القاعيدة الملتزمة من المؤمنين والتصاقها بالقيادة النبوية ، والثانية مرحلة الحكم والقضاء والادارة ضمن دولة ذات سادة وسلطان .

ومن خلال معرفة المكي والمدني نستطيع مواكبة تطور سير الدعوة وإدراك الأصول العامـة لنظرية التغيير الاجتماعي على أساس الفكر الإسلامي طبقاً لعمل الرسول ﷺ في مكة والمدينة وبحسب ما نزل من مكي القرآن ومدنيّة (١).

وأما ما يقال من قدرة الأساس الزماني (الهجرة) على التمييز بين الناسخ والمنسوخ من الآيات ففيه نظر . إذ أن الآية المنسوخة والناسخة لو فرضنا نزولها قبل الهجرة فها مكيتان ولا مجال - مجسب هنذا الأساس - لمعرفة السابقة لتكون منسوخة ، واللاحقة لتكون ناسخة . وكذلك لو فرضنا نزولها بعسد الهجرة فها مدنيتان ولا مجال - مجسب الأساس أيضاً - لمعرفة الناسخ والمنسوخ منها . هنذا بالإضافة إلى أن الرأي الراجح أن النسخ في القرآن لم يقع إلا في مجالين '٢' ، الأول : قوله تمالى و يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقد موا بين يدي مجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم المجادلة / ١٢. وهي آية لم يعمل بها إلا الإمام على تتبييج من نسخت. وقد نسختها الآية و أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذ لم تفعلوا وتاب الشعليكم الآية و أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذ لم تفعلوا وتاب الشعليكم

 ⁽٣) انظر : التشريع الجنائي الإسلامي : عبد القادر عودة، تعليق السيد اسماعيل الصدر،
 ٣١١/١ .

فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بمسا تعلمون » المجادلة / ١٣ . وهاتان آيتان في سورة المجادلة التي آياتها مدنية كلها . والمجال الثاني قوله تعالى و يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » الأنفال / ٦٥ ، وقد نسختها الآية التي تليها و الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم الله يغلبوا ألفين بساؤن الله والله مع الصابرين » الأنفال / ٢٦ والسورة كلها مدنية .

المبحث الثاني

خصائص المكمي والمدني

ليست الخصائص التي سنذكرها ، لا سيها الاسلوبية منها ، والتي تميّز – بصورة عامة – الآيات والسور المكية عن المدنية هيمن الدقة والضبط مجيث تشمل جميع آيات القرآن الكريم وسوره . بل هي تؤدي دور الترجيح ، فتقوي أحد الاحتالين على الآخر في الآيات والسور التي لم يرد بشأنها نص صحيح متنا وسنداً ، والتي لم ترتبط بواقعة أو حادثة تاريخية مشهورة تشخص هويتها .

فمن الممكن جداً أن تنزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الاساوب الشائع في السور المكية ، أو تسنزل سورة مكية وهي تحمل بعض خصائص الاساوب الشائع في السور المدنية . لذلك لا مجال التعويل على الظن ، ولا يصح وسم السورة أو الآية بسمة المكي أو المدني بلا علم . غير أن هناك من الخصائص الموضوعية ما قسد يؤدي إلى القطع بسمة الآية أو السورة دون تردد أو شك كالآيات المشرعة لأحكام الحرب وقواعد القانون الدولي والحقوق السياسية ونحوها عما تدل بموضوعها دلالة محددة انها من سور وآيات المدينة والتي نزلت بعد قيام الدولة هناك .

كما توجد بعض الخصائص الاساوبية ما تقوي ترجيح احتمال على آخر كالقوة الفياضة في البيان والاساوب الخطابي وقصر الآيات التي تمتاز بها الآيات المكية الداعية إلى تركيز العقيدة والدعوة إلى التوحيد. في حين يشيع - على الغالب- في القسم المدني الهدوء والترسل والتفصيل والطول والدعوة إلى التكاليف الشرعية.

ويمكن ايجاز الخصائص الاسلوبية والموضوعية الشائعة في المكي والاخرى الشائعة في القسم المدني فيما يلى :

أولاً _ الخصائص الشائعة في أغلب القسم المكي :

- ١ -- الدعوة إلى اصول العقيدة، كالإيمان بالله واليوم الآخر، وتصوير مشاهد الحساب وأهل الجنة وأهل النار .
 - ٢ الدعوة إلى التمسك بالخلق الرفيع ، وفعل الخير .
 - ٣ قصر الآيات والسور بصورة عامة .
 - ٤ مجادلة الشركين ، وابطال عقائدهم ، وتسفيه أحلامهم .
- ه كثرة القَسَم : بالله ، واليوم الآخر، والبعث، والقرآن، وغير ذلك(١٠.
- ٣ كثرة استعمال (يا أيها الناس) وندرة استعمال (يا أيها الذين آمنوا).
 - ٠٠– كثرة قصص الأنبياء والامم ، وقصة آدم وإبليس .

ثانياً _ الخصائص الشائعة في أغلب القسم المدني :

- ١ ــ طول السور أو الآيات ؛ واطنابها .
- ٧ مجادلة أهل الكتاب ، ودعوتهم إلى نبذ الغلو في دينهم (٢) .
 - ٣ ــ النحدث عن المنافقين ، وكشف مواقفهم ووعيدهم .

⁽١) ورد القسم في المكي مــــا يقرب من ثلاثين مرة . وفي المدني واحدة « ... بلى وربي لتبعثن » التفاين / ٧ .

⁽٢) كما في سورة البقرة ، وآل همران ، والنساء ، والمائدة ، والتوبة .

٤ - كثرة ذكر الجهاد ، والاذن به ، وتفصيل أحكامه .

تفصيل أحكام الحدود ، والفرائض ، والحقوق ، والأنصبة الإرثية ،
 والقوانين السياسية والاقتصادية والمعاهدات والمواثيق الدولية .

٣ ــ تفصيل الأدلة والبرامين على الحقائق الدينية .

تنبيهات ضرورية ،

الأول: ان هذه الخصائص ، في حالة انطباقها على عموم سورة من السور ، فلا يعني ذلك ان كل آياتها مكية أو مدنية . إذ قد تستثنى من السورة المدنية آيات مدنية (٢) .

الثاني: ان بعض الآيات أو السور قد تكون مدنية ، ولكن تنطبق عليها بعض الخصائص الاساوبية الشائعة في القسم المكي ، مثاله سورة البقرة . وهي مدنية ، وفيها قوله تعالى : « يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم ... ، آية / ٢١ ، وكذلك فيها : « يا أيها الناس كلوا بما في الأرض حلالاً طيباً ... ، آية / ١٩٨ . وسورة النساء مدنية أيضاً وفيها قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ... ، آية / ١ وفيها : « إنْ يَشا ُ يُذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ... » آية / ١ وفيها . « إنْ يَشا ُ يُذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ... » آية / ١ وفيها . « إنْ يَشا ُ يُذهبكم أيها الناس

الثالث : ان بعض الخصائص الشائعة في القسم المدني نجدها في السور المكية مثالها سورة الحج ، وهي مكية وفيها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا . . . » آية / ٧٧ .

الرابع : ان امتياز السور والآيات المكية بالقصر والايجاز ، والقسم المدني

⁽١) فسورة التوبـــة مدنية بينها الآيتان الأخيرتان مكيتان . وصورة البقرة مدنية في قول الجميم إلا آية وهي « واتقوا يوماً ترجمون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس مــــا كسبت وهم لا يظامون » آية / ٢٨١ فإنها فزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى .

⁽٣) فسورة الزمر مكية بينا آياتها (٣٥ ، ٣٥ ، ٤٥) مدنية .

بالطول والاسهاب لا يعني أن جميع المكي على هذا النحو ، وجميع المدني بهذه السمة . فسورة النصر – مثلاً – وهي ثلاث آيات، والبينة ثمان آيات، والبينة ثمان آيات وهي سور مدنية ، في حسين أن الأنعام والأعراف مكية إلا بعض آياتها . وهما من السور الطوال .

الخامس: ان هـنه الخصائص لا يمكن اتخاذها مثار شبهات لاتهام القرآن بالتيئة ، ومن ثم التدليل على شبهة (بشرية القرآن) ، بـل ان هذه الفوارق الغالبة في القسم المكي والمدني ، الاسلوبية منهـا والموضوعية ، كانت مراعاة لظروف الدعوة الإسلامية ، التي لم تأل جهداً باتخاذ كل الوسائل الفعالة المشروعة والمؤثرة ، لضهان انتشارها وتأثيرها في البيئة التي تحل فيها ، وبالتالي فهي من مقتضيات حكمة الله تعالى : د ... الذي أتقن كل شيء انه خبير بمـا تفعلون » .

الفصل الخامس

جمع القرآن وتدوينه

- استظهار القرآن وتدوينه في عهد النبي ﷺ .
- جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء .

المبحث الأول

جمع القرآن وتدوينه في عهد رسول الله كيالينا

تمهيد:

من المعلوم أن القرآن الكريم كمل تنزيله خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة. وقد جاءت الروايات تذكر جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ. فما هي الأدوات التي استعملت لهذا الجمع ؟ وما معنى جمع القرآن ؟ وكيف تم هذا الجمع في عهد النبي ﷺ ؟ وما أدلته ؟ هذا ما سنبحثه بايجاز فيا يلي :

المطلب الأول

معاني جمع القرآن وأدواته

يكتب ويستدل بعض الباحثين في جمع القرآن ، ويريدون به معاني شق . والروايات التي تذكر جمع القرآن تختلف في العهد الذي تم فيه هذا الجمع . ومن يتدبر لفظ (الجمع) الوارد في الروايات ، يتجنب الوقوع في الوهم ، فمن خلال دراسة الروايات والأبحاث في هذا الصدد، يبدو أن لفظ (الجمع) استعمل واريد به أحد المعاني التالية :

ب — كتابته على الأدوات المتوفرة ، ولكن مفر"ق الآيات والسور ، أو مرتب الآيات مفر"ق السور ، وكل سورة على رقعة من الرقاع .

ج – كتابته متسلسل الآيات ، مرتب السور في مصحف واحد .

د ــ نسخه على قراءة واحدة متواترة في مصحف موحد .

أما تطبيقات هـــذه المعاني ، فقد مر"ت بأكثر من عهد . أما المعنى الأول للجمع، وهو الاستظهار، فكان صدر رسول الله كَيْمَالِيْكِ وصدور الصحابة ألواحاً نقش فيها القرآن في عهده كَيْمَالِكُونُ ، وتم استظهاره من قبل المئات من المسلمين .

والمعنى الثاني تم في عهد رسول الله ﷺ أيضاً ، ووجــــــــ لدى قسم من الصحابة ، والمعنى الثالث تم في عهد أبي بكر (رض) بعد وفاة رسول الله ﷺ أما المعنى الرابع فهو ما قام به الخليفة عثان بن عفان (رض) .

أمــــا الأدوات التي كانت تستعمل في تدوين القرآن الكريم ، فقد جاءت الروايات تذكر قسماً منها ، وهو ما كان متوفراً آنذاك .

أدوات التدوين ،

١ – العسب : جمسع عسيب ، وهو جريد النخل بعد تجريده من الخوص يكتب على الطرف العريض منه . ومثلها الكرانيف .

٢ - اللخاف: (بكسر اللام) جمع لخفة (بفتح اللام) ، وهي صفائح الحجارة الرقاق .

٣ - الرقاع : جمع رقعة ، وتكون من جلد أو ورق .

٤ - الاكتاف : جمع كتف؛ وهو عظم بعير أو شاة ؛ إذا جف كتبوا عليه .

الاقتاب ؛ جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليحمل عليه . كان يستعمل لنقش الكتابة عليه .

هذا بالإضافة إلى الحرير الذي كان يكتب عليه . (وكانت الكتابة معروفة ومنتشرة في مكة إلى حدّ أبعد بما ذهب إليه النقد الحديث لمدة طويلة . وقد دوّنت أجزاء من القرآن على مواد مختلفة متيسرة في بــــلاد العرب في القرن (٧ م – ١ ه) كالرقاق والفخار الذي استعمله البابليون والآشوريون للكتابة ، وعظام ألواح الكتف) (١٠) .

المطلب الثاني استظهار القرآن في عهد رسول الله سنتاليا

ان جمع القرآن بالمعنى الاستظهاري ، تم في عهد رسول الله كيتيا بصورة جلية واضحة ، لا تقبل الشك ، ولا تحتاج إلى تسدليل عليها . وكان رسول الله علية أول الحفاظ وسيدهم قاطبة. ومع ذلك فنحن نذكر بعض الشواهد عليه.

والشواهد على استظهار القرآن كثيرة منها :

١ - قوله تعالى « لا 'تحر"ك به لسانك لتعجل به * إن" علينا جمعًه وقرآنه»
 القيامة / ١٦ ، ١٧ ومعناه لا تحر"ك لسانك يا رسول الله للتأكيد على كلمـــات
 الآيات قبـــل فراغ جبريل (إن علينا جمعه ، وقرآنه عليك ، حتى تحفظه ، ويمكنك تلاوته ، فلا تخف فوت شيء منه) (٢) .

و (إن علينا جمعه في صدرك ، وقرآنه ، وإجراء قراءته على لسانك) (٣٠. و (إن أمر هذا الوحي ، وحفظ هذا القرآن ، وجمعه وبيان مقاصده ، كل اولئك موكول إلى صاحبه . ودور – النبي – هو التلقي والبلاغ فليطمئن

⁽١) غود فروا : النظم الإسلامية ، ص ٧٣ .

⁽٢) الطبرسي: مجمع البيان ج ١ / ٣٩٧.

⁽٣) تفسير شبر : ص ١ ٤ ه .

بالاً ، وليتلق الوحي كاملاً ، فيجده في صدره منقوشاً ثابتاً (١) .

 $\gamma = 3$ و سنقرئك فلا تنسى ، الأعلى $\gamma = 1$

فإن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، يعيد ﷺ قراءة ما نزل ، خافة أن ينساه ، فكان ﷺ لا يكاد جبريل يفرغ من آخر الوحيحق يبدأ النبي ﷺ بقراءة أوله ، وترديده آية آية ، وتحريك لسانه به حرصاً عليه ، وشغفاً به ، وتأميناً له لتبليغه الامة .حتى وافته بشرى ربه برفع مشقة الاستظهار عنه ، وان الله تعالى تكفل بقلبه فلا ينسى ما يقرئه ربه .

٣ - كا أن جمّاع القرآن أي حفّاظه على عهد رسول الله ﷺ كانوا أكثر من أن تحصى اسماؤهم. ويكفي الإشارة إلى كثرتهم 'أنه 'قتل منهم في عهد النبي ﷺ (سبعون) سنة ٤ ه ' في (بئر معونة) ' قال الزنجاني : (ولأجل ذلك أمر النبي ﷺ علياً عنسياه ؛ يحمه وحند ر من تضييعه) (٢) ' كا قتل يوم اليامة (سبعون) من حفاظ القرآن في عهد أبي بكر (رض) ' وفي رواية أنهم كانوا أربعائة مقرىء ' وذكر ابن كثير : (لما استحر القتل بالقراء ' أي اشتد وكثر في قراء القرآن يوم اليامة ، يعني يوم قتال مسيامة الكذاب وأصحابه بني حنيفة بأرض اليامة . . . قتل من القراء يومئذ قريب من خمسائة . . .) (٣) .

ولقد كان مسجد رسول الله يَنْتَكَائِشُ نادياً عامراً بتلاوة القرآن ، يضج بأصوات الحفاظ ، فأمرهم رسول الله عَنْقَائِشُ (أن يخفضوا أصواتهم ، لشلك يتغالطوا) .

٤ - كا أن الرسول ﷺ كان يدفع كل مهاجر جديد إلى أحـــد الحفــاظ ليملمه حفظ القرآن الكريم ، فشاع حفظه بــــين الرجال والنساء ، ولقد افتتن

⁽١) سيد قطب في ظلال القرآن مجلد ٨ ، ج ٢٠٤/٢ .

⁽٢) تاريخ القرآن ، ص ٦٦ .

⁽٣) ابن كثير ، فضائل القرآن ، ص ٩ .

المسلمون بحفظ القرآن ، وشغفوا بــه شغفاً جمًّا ، حتى أن المرأة المسلمة (١) كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهراً لها .

وذكر أبو عبيدة في (كتاب القراءات) القرّاء من أصحاب النبي ﷺ ، فعد من المهاجرين : الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً ، وأبا هريرة ، وعبيد الله بن السائب ، والعبادلة (٢) وعائشة ، وحفصة، وأم سلمة ، ومن الأنصار : عبادة بن الصامت ، ومعاذ الذي يكنتى أبا حليمة، وجمع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد (٣) .

بــل ان اهتمام الرسول ﷺ بالقرآن كان مواكباً لنشر الدعوة الإسلامية ، منذ خيوط فجرها الاولى ، فإنــه بادر فأرسل مصعب بن عمير إلى المدينة ، مع من بايمه بالعقبة الاولى وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام (٤) .

ه ــ وبعد فتح مكة راح استظهار القرآن وتعليمه ينتشر بين أهلها ، فقد (طلب النبي ﷺ من معاذ بن جبل أن يبقى في مكة بعــد فتحها لكي يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن) (٥٠) .

وجاء جماعة للرسول ، فبعث معهم عباد بن بشر ، وطلب منه أن يعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن (٦) .

⁽١) عن سهل بن سعد قال: أتت النبي (ص) امرأة فقالت أنها قد وهبت نفسها الله ولرسوله فقال: (مالي في النساء من حاجة) فقال رجل: زوجنيها ؟ قال: (اعطها ثوباً) ، قال: أجد ، قال: (ما ممك من القرآن) ؟ قال: كذا وكذا. قال: (زوجتكها بما ممك من القرآن) . ابن كثير: فضائل القرآن ، ص ه ٤ .

 ⁽٣) وهم : عبدالله بن عمر (ت ٣٧ هـ) ، عبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) عبد الله
 ابن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨ هـ) ، ومنهم عبدالله بن مسعود (ت ٣٣ هـ) .

⁽٣) الزنجاني : تاريخ القرآن ، ص ٤٠ .

^(؛) ابن هشام : السيرة ، ج ٧٦/٧ .

⁽ه) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣٦٢/٣ .

⁽٦) ابن سعد : الطبقات ، ج ١١٦/٢ ، (ليدن ١٣٢٢ ه) .

٣ - وكان رسول الله ﷺ يباشر بنفسه تعليم المسلمين القرآن ، بالإضافة إلى تعليم بعضاً. قال عبدالله بن مسعود الأصحابه في الكوفة إني قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة (١١) .

وقد روى الطبري عن أحدهم ، أنه قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ، انهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر ايات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل ، فتعلمنا القران والعمل جميعاً (٢).

وقال عبدالله بن عباس: كان رسول الله عَيْمَاتُ يعلمنا التشهد ، كما يعلمنا القران (٣) وقال أبي بن كعب: رحت إلى المسجد فسمعت رجلًا يقرأ ، فقلت من أقرأك فقال رسول الله عَيْمَاتُونِ (٤) .

قال المستشرق الفرنسي م. غود فروا :

وسند الآيام الاولى للجهاعة الإسلامية ، دعا الرسول المسلط أتباعه إلى الاجماع ليفضي إليهم بالوحي . . . ويحتمل أن تكون هده الاجماعات لفرض العبادة ، وتلاوة القران، واحمال تفسير بعض غوامضه، ومحاولة تثبيته في ذاكرة المؤمنين والواقع ان ذاكرة هؤلاء المؤمنين الأوائل ، أصبحت خدير مؤتمن على الوحي وناقل له . . . ومما يميّز الإنسان ويرفع من قدره ، أن يكون (حافظاً) ، يحوي القرآن كله في صدره (٥) .

أسباب اندفاع المسلمين لاستظهار القرآن ،

الواقع أن هناك أكثر من سبب يسدفع بالمسلمين لاستظهار القران الكريم

۲۸/۱ و ۱۱ التفسير ، ج ۲۸/۱ .

⁽۲) المصدر نفسه : ج ۱/۸۰ .

⁽٣) السهمي : تاريخ جرجان (حيدر آباد ١٩٥٠ م) ص ٣٨٩ .

⁽٤) المصدر نفسه: ج ١/٣٧ .

⁽٥) م. غود فروا : النظم الإسلامية ، ص ٧٣ .

وحفظه في الصدور ، ولعل من تلك الأسباب :

أ - إنه دستورهم الذي يسيرون بموجبه ، وفقههم الذي يبين لهم الحلال والحرام ، وما لهم وما عليهم ، فلا بد أن يستظهروه ، لا سيا وأنهم ما كانوا يتعلمون القران إلا للعمل بمقتضاه ، وتحديد تصرفاتهم وعسلاقاتهم ومواقفهم حسب ما يأمر وينهى . فلم يكونوا كما عليه اليوم الكثير من المسلمين في علاقتهم بالقران ، وحفظه للتكسب به ، وتلاوته في الحفلات والمناسبات لتجميع الناس أو ترتيله في آذان الموتى من على قبورهم ، متناسين أنه دستورهم ، وسبيل سعادتهم وعزتهم ، ونجساتهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة ، به سعدوا وسادوا ، وبتركه ذلوا وخزوا ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ، وأنه لا سبيل إلى الهداية إلا سبيله ، ولا مفر إلا إليه ، ولا سعادة إلا به . وهو ما كان عليه إعان المسلمين الأوائل .

ب ــــــ إنه آية كبرى في البلاغة ، وكانت عـــادة العرب ، استظهار النصوص البلاغية ، فكيف بالقرآن ، وقد تحدى كل بليغ ، وحيّر كل فصيح .

ج - كانت لحف القران منزلة مرموقة بين المسلمين عامة ، ولدى رسول الله مين المسلمين عامة ، ولدى رسول الله مين المسلمون عاصة . وهذه الحالة الاجتاعية كافية بحد ذاتها ، لأن يتزاحم المسلمون ويتنافسوا على استظهار القران الكريم . قال معاذ : سمعت رسول الله مين القيامة تاج الملك ، يقول : (ما من رجل علم ولده القران إلا توجه الله به يوم القيامة تاج الملك ، وكسي حلتين لم ير الناس مثلها) (١) .

وإذا كان الاجماع قائمًا على أن ما بين دفتي المصحف الكريم هو ما نقل إلينا بالتواتر ، فإنه شاهد صدق على كثرة الحفاظ في عهد رسول الله ﷺ ، حتى بلغوا كثرة يؤمن تواطؤهم ، وصار ً نقلهم تواتراً .

⁽١) الطبري : التفسير ، ج ١٢١/١ .

المطلب الثالث

تدوين القرآن في عهد رسول الله عليه

لقب تم تدوين القران الكريم في عهد رسول الله عليه فكان كلما هبط الوحي بالآيات الكريمة ، ثبتت في ذاكرة الرسول بيه في وصحابته ، وسجلتها فوراً أيدي أمناء الوحي ، على مساكان لديهم من أدوات ، من عسب ولخاف ورقاع ونحوها . وكانت تودع في بيت رسول الله بيه في المناء الوحي .

وفيما يلي بعض الشواهد على تدوين القران ، في عهد الرسول الأمين ﴿ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللّ

١ – قــال أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) في كتاب فهم السنن (كتابة القران ليست بمحدثة ، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفر قاً في الرقاع والاكتاف والعسب ... كأن ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله وص») (١).

٢ – قال زيد بن ثابت: فتتبعت القران أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . وفي رواية من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال (٢) .

وقول زيد بن ثابت: (... وصدور الرجال) أو هم بعض الباحثين أن القران الكريم لم يدو ن في عهد رسول الله عَيْمَ في والشواهد التاريخية والوقائع تشبت أن زيد بن ثابت أراد بقوله (... وصدور الرجال) أن يعارض ما هو مدون لديه بما هو مستظهر من القران عند الحفاظ ، ليجمع بذلك صحة الاستظهار وصحة التدوين في مصحف واحد .

٣ - حديث الثقلين : وهو قول النبي ﷺ (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب

⁽١) انظر السيوطي، الاتقان : ج ٨/١ه ، الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ه ٤ ، الزركشي البرهان ، ج ٣٨/١ .

⁽٣) ابن كثير : فضائل القرآن ص ٩ .

الله ، وعاترتي أهل بيتي ، مــا ان تمسكتم بهما لن تضاوا بعدي أبداً) (١) ، و في هذا الحديث دلالة على ان القران كان مكتوباً عند وفاة رسول الله يَهُمُ اللهُ لَا لَا لَهُ اللهُ عَلَيْهُ ، لأن لفظ (كتاب) بالتبادر هو الصحيفة أو الصحائف التي تضبط طائفة من المعاني فيكون القران قد كتب في عهد الرسول مَهُمُ اللهُ ولم يبتى في الصدور فحسب .

٤ - آيات التحدى :

إن القرآن تحدًّى المشركين وغيرهم بالاتيان بمثله ، أو بعشر سور أو بسورة من مثله ، مما يدل على أن القران بآياته وسوره كان في متناول أيديهم ، وسوره كانت متميزة مشهورة في الخارج ، مشهودة بحيث يتسنى للمشركين أن يظفروا بها ، أو أن تعطى لهم ، وإلاكان التحدي بغير الموجود ، وهو لا يصح .

و – روى جماعة كالطبراني وابن عساكر عن الشعبي أنه قال (جمع القران على عهد رسول الله على ستة من الأنصار: أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد – قيل هو قيس بن السكن – وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث) (٢) . مما يدل أن بين المسلمين من اشتهر مجيازته القران مدو"ناً .

على أن في هذه الرواية تأملاً: إذ كيف استطاع الراوي حصر جمع القران مدو نا عند هؤلاء الستة ، إلا أن يكون قد استفسر من جميع المسلمين عند وفاة الرسول عَنْ الله عن دون القران ، فلم يجده إلا عند هؤلاء الستة ، وهذا في غاية البعد عادة ، لكثرة المسلمين واختلاف أماكنهم ، لا سيا إذا علمنا ان امرأة المبعد عادة ، كانت قد جمعت القران مدو نا ، وأسماها الرسول عَنْ الله الله ولا يتناشط

⁽١) هذا الحديث يرويه فريق (وسنتي) بدل (وعترتي أهل بيتي) وفي حسباننا أنسه لا كبير فرق ء حيث أن العترة الطاهرة من أهسل بيت الرسول (ص) هم خزنة السنة وطريقها اللاحب – فصاحب الدار أدرى بالتي فيها – على أن المسلمين متفقون على أنه (ص) ترك للامة (كتاب الله) وهو مورد الاستدلال .

⁽٢) الزركشي : البرهان : ج ١/١ ، ٢ ، وانظر : القيسي ، الابانة ص ٥٠ .

الشهيدة ، وكان يزورها في بيتها (١) ، وقد استشهدت في عهد عمر بن الخطاب . الأمر الذي يدل ان من تم لهم جمع القران مدوناً هم أكثر من هؤلاء الستة .

ويضاف إلى ما سبق ، ان هؤلاء من الأنصار، وفي المهاجرين من جمع القران في عهد النبي مدوناً قطماً ، ومن دون ريب أو شك ، وفي مقدمتهم الإمام علي عيسي الذي وقد ذكروا (انه جمعه على ترتيب ما أنزل) (٢) .

7 - نزول القرآن الكريم على رسول الله كين خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، وكان الرسول طيلة هذه المدة يقول لأصحابه ويدعو من يكتب عنده كلما نزل عليه شيء من القرآن (ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآيات فيقول ضعوا هـذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآيات فيقول ضعوا هـذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) (٣) . مما يدل أن الرسول من الوحي بالنسبة للسورة .

٧ - وفي رواية علي بن ابراهيم عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله جعفر ابن محمد عليهم السلام قال: ان رسول الله ﷺ قسال لعلي: يا علي إن القران خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس ، فخذوه واجموه ، ولا تضيّعوه كا ضيّعت اليهود التوراة ، وانطلق علي عليمتاهذ فجمعه في ثوب أصفر ثم خستم عليه (٤٠).

قإذا أضفنا إلى هــذه الشواهد رواية إسلام عمر (٥) ، وحرص الرسول على

⁽١) وهي ام ورقة بنت عبدالله بن الحارث ، وكان رسول الله قد أمرها أن تؤم أهل دارها: انظر الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٤١ ، السيوطي : الاتقان ج ٧٣/١ .

⁽٢) ابن كثير: فضائل القرآن ص ٢٨.

⁽٣) ابن أبي داود : كتاب المصاحف ، ص ٣١ ، الزركشي : البرهان ج ٢٣٣/١ .

⁽٤) الزنجاني: تاريخ القرآن ص ٤٤.

⁽ه) حين وجد في يد اخته فاطمة (صحيفة) فيها آيات من القرآن ، وكان بينها وبينه ساكان عارأدى إلى إسلامه ، انظر الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٣٣ .

تعليم الكتابة (١) صحابته ، ومن ذكرهم ابن اسحق في الفهرست (٢) ، بالإضافة إلى أهمية القران بالنسبة للرسول ﷺ والامسة الإسلامية ، والشريعة الفراء ، يتحصل لدينا اليقين والقطع بـــان القران لم يستظهر في عهد رسول الله ﷺ فحسب بل دون كاملاً .

وبما تجدر الإشارة إليه ، أن جمع القران على صورة مصحف (منسق الآيات والسور) لم يتم في عهد الرسول الأمين ﷺ ولعل من أسباب ذلك :

أ _ تنزيل القرآن منجما :

فقد كانت تنزل بعض آيات سورة من السور ، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى – قبل تلك السورة أو بعدها – ثم يستأنف الوحي آيات السورة الاولى، وهكذا حتى كمل التنزيل .

ولا شك ان حالة كهذه يتعذر ، بل يستحيل معها جمع القران مباشرة عند نزوله في مصحف واحد ، إذ يلزم ذلك تغييراً مستمراً في الرقاع المدوّن عليها ، لتوضع الآية الجديدة محلها، أو ان يدوّن القران حسب نزوله، وعندئذ لا يكون المصحف الذي بأيدينا ، لتداخل نزول آيات سورة بآيات أخرى عند ذاك .

ب – بعد أن ختم الله تعالى الوحي وأتم النعمة وأكمـــــل الدين ، لم يعش

⁽١) ذكر الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ) روى خارجة بن زيد عن أبيه قـــال : أتى النبي (ص) المدنية ، وقد قرأت سبمة عشر سورة ، فقرأت على رسول الله (ص) فأعجبه ذلك وقال : « يا زيد تملم لي كتابة يهود فإني مـا آمنهم على كتابي ، قال فحذقته في نصف شهر » . الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٣٨ . ومنها يظهر شدة حرص الرسول (ص) على تمليم أصحابـه الكتابة ، وتدوين القرآن . (ولمل الصواب فحذقتها) .

⁽٣) ذكر محمد بن اسحق في الفهرست ان جاع القرآن على عهد النبي (ص) هم علي بن أبي طالب عليه السلام، وسعد بن عبيد بن النمان بن عمرو بن زيد، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومماذ بن جبل بن أوس، وأبو زيد ثابت بن زيد بن النمان ، وأبي بن كعب بن قيس، وعبيد ابن معاوية ، وزيد بن ثابت . الزنجاني : تاريخ القرآن ص ٢٦.

المبحث الثاني

جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء

المطلب الأول

جمل القرآن مصحفاً

روى العياشي في تفسيره في ذيل رواية له (قال علي يرفيهاند: ان رسول الله ميهماني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى اؤلف (٢) كتاب الله ، فإنه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل . . .) (٣) . فحين أتم الإمام علي عربيها الرسول علي المربية وتكفينه ودفنه والناس منصرفون إلى شؤون البيعة والحلافة في سقيفة بني ساعدة ، انصرف أمير المؤمنين عربيها إلى تنسيق تلك الرقاع وتنظيمها وترتيب سورها وآياتها ، وجعلها كتاباً موحداً يحقق ما لم

⁽١) في صحيح البخاري عن فاطمة (ع) : اسر النبي (ص) إلى أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة ، وانـــه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضور أجلي . الزركشي : البرهان ، ج ٢٣٢/١ .

 ⁽٧) التأليف : الجمع ، ومنه قوله تمالى : « ... فألف بين قاوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

⁽٣) الزنجاني : تاريخ القرآن ، ص ٤٤ .

يتسن لرسول الله ﷺ تحقيقه، وعكف في بيته يجمع القران في مصحف واحد من الرقاع المتنوعة غير المنتظمة . وهـذا هو معنى الجمع الذي مارسه علي بن أبي طالب عنسيم لا الجمع من صدور الرجال كما توهم البعض .

وقد ذكر الكليني: ان علياً عنيتهان قال عندما جمع القران هذا كتاب الله... وقد جمعته من اللوحين (١) والمقصود بالجمع: جمله بسين دفتي المصحف لا كتابته ابتداءً فإنه كان مدوّناً لديه.

وعن عكرمة قال: (لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب عليه الله يتعالى الله فقال: أكرهت بيعتي؟ في بيته ، فقيل لأبي بكر قد كره بيعتك ، فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا ... قال: ما أقعدك عني ؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه ، فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه ، قال أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت (٢).

وعن محمد بن سيرين قال : (لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمة حتى يجمع القران في مصحف) (٣) .

فعندما استحر" القتل بقر"اء القران (يوم اليامة) ، عند قتال مسيامة الكذاب قال عمر (رض) لأبي بكر (ان حملة القر"اء قد قتل أكثرهم يوم اليامة ، قلو جمت القران ؟ فإني أخاف عليه أن يذهب حملته ، فقال أبو بكر افعل ما لم يفعله

⁽١) اصول الكاني ، ص ٥٣ .

⁽٢) السيوطي: الاتقان ، ج ٨/١ .

⁽٣) اين كثير : فضائل القرآن ، ص ١٤ .

رسول الله ﷺ ؟! فلم يزل بـــه عمر ، حتى جمعه وكتبه في صحف ، وكان مفترقاً في الجريد وغيره) (١) .

على أنهذه الروايات لا تمارض ولا تزاحم ما ذهبنا إلى ترجيحه منالروايات الاخرى ، من أن أول المبادرين إلى جمع القرآن في مصحف واحد هو الإمام علي عليسي و إنما قام بذلك دون تردد – كما وقع لأبي بكر – لأنه موصى به من قبل رسول الله (ص) ، كما ذكرنا في السابق . ولا يبعد أن يكون علي بن أبي طالب علي ين المي القرآن باعتباره وصي رسول الله (ص) ، وأبو بكر (رض) جمع القرآن باعتباره خليفة المسلمين ، في آن واحد .

المطلب الثاني

توحيد المصاحف

ظل المسلمون بالرغم من جمع القرآن، وتنسيقه في مصحف واحد، يقرؤونه بقراءات شتى لاختلاف ألسنتهم ، فكان الاختلاف في الحركة الاعرابية مثلاً مثاراً للخلاف بينهم ، وتشتيت كلمتهم ، الأمر الذي دعا حذيفة بن اليان (ت ٣٦ه) بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وآذربايجان ، مع أهل العراق، أن يسرع إلى الخليفة عثان بن عفان (رض)، ويذكره بمنع النبي (ص) من الاختلاف في القران ، قائلًا له : (أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف

⁽١) اليعقوبي : تاريخه، ج ١/ه ١ ، الزركشي : البرهان : ج ٣٣٣/١ ، القيسي : الابانة ص ٢٤ .

اليهود والنصاري) (١). وهناك روايات تذكر أسبابًا عديدة لتوحيد المصحف.

فقام عثمان (رض) بجمع المسلمين على قراءة واحدة ، (وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين ، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي سَيَمَالَيْنُ) (٢) ، ومنع سائر القراءات . وأحرق المصاحف أو أتلفها (٣) ، عـــدا المصحف الذي اختاره واستنسخته لجنة من زيد بن ثابت وجماعة آخرين .

(وفي كلام ابن طاووس رحمه الله في كتاب (سعد السعود) أن عثان (رض) عاد وجمع المصحف برأي على عليه تأييد لما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره برواية سويد بن علقمة قال : سمعت علي بن أبي طالب عنيستان يقول : أيها الناس إيا كم والغلوفي أمر عثان ، وقولكم حر"اق القرآن ، فوالله مساحر قها إلا من ملا من أصحاب رسول الله سيتهالي ، جمعنا وقال : ما تقولون في هسنده القراءة التي اختلف الناس فيها : يلقي الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يجر إلى الكفر ، فقلنا بالرأي ، قسال أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا ، فقلنا نعم ما رأيت: فأرسل إلى زيد بن ثابت ، وسعيد بن المعاص قال : يكتب أحدكما ويملي الآخر ، فسلم يختلفا في شيء إلا في حرف واحد في سورة البقرة ، فقال أحدهما : (التابوت) وقال الآخر : (التابوت)

وبهذا يكون عثان بن عفان (رض) قد وحّد المصاحف وذلك باختيار مـــا

⁽١) ابن كثير : فضائل القرآن : ص ١٠ ، الزركشي : البرهـــان ج ٢٣٦/١ ، القيسي : الابانة ص ٧٧ .

⁽٢) الخوثي : البيان ، ص ٢٧٧ .

⁽٤) الزنجاني : تاريخ القرآن ، ص ٦٨ .

تواتر عن رسول الله ﷺ ، وإلف اله القراءات ، لا بمعنى تنسيق سوره وآياته بين لوحين كما فعل الإمام علي ومن بعده من الحلفاء . (فسلم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بسين اللوحين ، وإنما قصد جمعه على القراءة المعروفة عن النبي النبي المناء ما ليس كذلك) (١١) .

وقال أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن هو عثان النا على عثان الناس على قراءته بوجه واحد ، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار (٢) فتم توحيد الناس على مصحف موحد ، على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله سيتيارين ، في آخر رمضان من عمره عنيستان ، فإنه عارضه به يومئذ مرتين (٣).

المطلب الثالث

المصاحف العثمانية ومصيرها

١ ـ عدد المساحف العثانية :

بعد قيام عثمان (رض) مجمل الناس وتوحيدهم على قراءة واحدة للقرآن الكريم ، استنسخ عددة نسخ منه ، فر"قها على الأمصار ليتم التعويل عليها دون غيرها .

وقد اختـُلف في عدد المصاحف التي عمّـمها عثمان (رض) ، والمشهور انهـــا خسة كما ذكر ذلك السيوطي في الاتقان. غير أن أبا عمرو الداني ذكر في (المقنع في رسم القرآن) : أكثر العلمــاء على أن عثمان كتب المصاحف وجعلها على أربع

⁽١) الزركشي : البرهان ج ١/٥٣٠ ، السيوطي : الاتقان ، ج ١٠/١ .

⁽٧) السيوطي: المصدر نفسه.

⁽٣) ابن كثير : فضائل القرآن ، ص ١٠ ــ ١٤ .

نسخ ، وبعث إلى كل ناحية واحسدة : الكوفة ، والبصرة ، والشام ، وترك واحدة عنده) (١) .

وقال اليعقوبي: ان عدد المصاحف المستنسخة تسعة ، قال وبعث بهـــا إلى الأمصار ، وعــدًد الكوفة ، والبصرة ، والمدينة ، ومكة ، ومصر ، والشام ، والبحرين ، واليمن ، والجزيرة (٢٠) .

وذكر ابن الجزري انها ثمانية قال: (فكتب منها عدة مصاحف: فوجه بمصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً ، الذي يقال له الام ، ووجه بمصحف إلى مكة ، وبمصحف إلى البحرين) (").

وعن ابن أبي داود قدال: (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول كتب سبعة مصاحف فدارسل إلى مكة ، وإلى الشام ، وإلى اليمن ، وإلى البحرين ، وإلى البصرة ، وإلى الكوفة ، وحبس بالمدينة واحداً) (٤).

ولعل السبب في الاختلاف في عــدد المصاحف يرجع إلى الرواة ، حيث اعتمدوا في تعداد المصاحف على الأمصار المذكورة التي وجهت إليها المصاحف، في الوقت الذي يمكن أن يكون وجه بمصحف واحد إلى مصر والشام مثلا ، فيكون الراجع خمسة مصاحف بعدد الحفياظ الذين أرساوا معها .

ومن أجل ضمان توحيد القراءات بين المسلمين على الوجه المختار المتواتر ، أرسل عثان (رض) مع كل نسخة إقليم حافظاً ، يوافق قراءته ، فكان زيد بن ثابت مقرىء المصحف المسدني ، وعبدالله بن السائب مقرىء المصحف المسكني ،

⁽١) الزركشي : البرهان ج ١٠/٠ ٢ .

^(*) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج (*) ١٦٠/٢ .

⁽٣) ابن الجزري : النشر في القراءات المشر ، ج ٧/١ .

⁽٤) ابن أبي داود ؛ كتاب المصاحف ، ص ٣٤ .

والمغيرة بن شهاب مقرىء المصحف الشامي ، وأبو عبد الرحمن السلمي مقرىء المصحف الكوفي ، وعامر بن عبدالرحمن مقرىء المصحف البصري .

٧ ـ مصير المصاحف العثانية ووصفها :

الإجهاع بين المسلمين على أن المصاحف التي عمّمها عثمان بن عفان (رض) على الأمصار – أياً كان عددها – كانت متطابقة فيما بينها ، متاثلة مشتملة على القرآن كل المنقول عن النبي مَنْ الله الله متواتراً ، يضم مائة وأربع عشرة سورة . وهذه النسخ خالية من النقط والشكل والنقوش التي نجدها اليوم في المصاحف التي بأيدينا ، كما أنها كانت خالية من أسماء السور والفواصل على المشهور .

على أن مصير هذه المصاحف غير معروف بصورة جلية متقنة ، غير أن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قد رأى مصحف الشام ، وقد جاء في كتابه فضائل القرآن قوله :

(أما المصاحف المثانية الأئمة ، فأشهرها اليوم في الشام بجامع دمشق عند الركن ، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كان قديمًا بمدينة (طبرية) ، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود سنة (١٨٥هم) ، وقد رأيته كتابًا عزيزاً جليلًا عظيماً بخط حسن مبين ، قوي ، بحبر محكم ، في رق أظنه من جلود الإبل)(١).

وفي مكتبة الإمام الرضاعلي بن موسى مَثِينتِهِ في خراسان نسخ من القرآن الكريم يعتقد أنها بخط الإمام علي مَثِينتِهِ وسائر أولاده المعصومين عَثِينتَهِ .

وقـــال الزنجاني : ورأيت (خمسة شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ) في دار الكتب العلوية في النجف ، مصحفاً بالخط الكوفي كتب على آخره: كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة) (٢) .

⁽١) ابن كثير: فضائل القرآن ، ص ١٥.

⁽٢) تاريخ القرآن : ص ٦٨ .

ولقد استمر المسلمون منذ أن اختار الله تعالى لرسوله كين دار الكرامة على استظهار القرآن الكريم واستنساخه ، فأنت تجد في كل جيل من الأجيال ألوفا من المصاحف ، وألوفا من الحفاظ ، فتكون الوف المصاحف رقيبة على استظهار الحفاظ ، والوف الحفاظ رقباء على نسخ المصاحف .

(وليست كهذه ، حال العهد القديم — التوراة — الذي لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشراح المحدثين، فيما عدا واحداً من كتبه هو كتاب و أرمياء ».

وليسالعهد الجديد – الإنجيل – بأسعد حالاً ؛ فقد ألنى بجمع أساقفة (نيقية) كثيراً من أخباره ، مما زرع الشك حول ما تبقى منه وهو (الأناجيل) .

وهذه الأخيرة بدورها لا تعتبر الآن من الصحاح ، لأن النقد أثبت أنها قد « وضعت » بعد المسيح بأكثر من قرن ، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم المسيحية .

وعلى هــــذا فإن شكوكاً كثيرة تحوم الآن حول القيمة التاريخية للوثائق البهودية) (١) .

أما القرآن الكريم فقد ظل ينتقل من جيل إلى جيل بطريقة متقنة فــــذة فريدة ، تعارف الناس عليها ، حتى انتشر من أقصى بلاد المسلمين في شمال غربي أفريقيا ، إلى أقصى البلاد الإسلامية في جنوب شرقي آسيا .

ولم يتفق لكتاب من التواتر ودقة النقل؛ ما اتفق للقرآن الكريم؛ وإنما كان ذلك لأنه لا نبي بعد محمد على الله تعالى ذلك لأنه لا نبي بعد محمد على الله تعالى الذكر وإنا له لحافظون ، الحجر/ه .

⁽١) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

الفصل السادس

سور القرآن الكريم وآياته

- السورة والآية : تعريفها ، معرفتها ، ترتيبها .
 - حكة جعل القرآن سوراً.
 - أسماء السور وتقسيمها .

المبحث الاول

السورة والآية

تعریفهما _ معرفتهما _ ترتیبهما

المطلب الأول تعريف السورة والآية

تعريف السورة :

قال أبو عبيد وغيره : إنها غير مهموزة ، مأخوذة من سور البناء، وكلمنزلة رفيعة فهي سورة . ومنها قول النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقيل أنها مهموزة ، فيكون معناها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وأبقيت (١) ، فصارت وحدة مستقلة تشتمل على مقدار من الآيات وتحمل اسما خاصاً بها .

قال القتيبي : السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسأرت : أي

⁽١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٧/١ ، السيوطي : الاتقان ج ٢/١ . .

افضلت؛ من السؤر: وهو ما بقي من الشراب في الإناء؛ كأنها قطعة من القرآن (١٠). وقيل ان السورة: طائفة من القرآن والتي أقلسُها ثلاث آيات (٢٠).

تعريف الآية :

الآية لغة : العلامة أو الدلالة ، قال تعالى : ﴿ سَنُو يَهِمَ آيَاتُنَا فِي الآفَاقَ ، وَفِي أَنْفُسِهِمَ حَتَى يَتَبِينُنَ لَهُمَ أَنْهُ الحَقّ ، أو لم يكفّ ِ بِبَكُ أَنْهُ عَلَى كُلّ شيء شهيد ﴾ فصلت/٥٣ .

والآية اصطلاحاً: هي الواحدة من المعدودات في سور القرآن، وهي علامة أو دلالة على صدق رسالة النبي ﷺ وعلى عجز من تحداهم لذلك فهي دليل معجز . فالآية هي : أصغر الوحدات التي يتألف منها النص القرآني .

المطلب الثاني معرفة السورة والآية

معرفة السورة :

تتم معرفة السورة بتوقيف من الشارع المقدس دورس قياس أو اجتهاد فهي تستمد شكلها واستقلالها من النص الشرعي .

وتبتدى السورة بالبسملة عادة غير أن سورة (براءة) لم تبتدى عبها ، وقد جاء تعليلها عن علي تنسئه: بأن البسملة أمان. وهذه السورة نزلت لرفع الأمان بالسيف ، بعد أن نقض المشركون العهد ، أو هموا بنقضه ، فأمر الله تعالى أن تنقض عهودهم ويرفع الأمان ويجرد السيف . والبسملة جزء من آية / ٣٠ من سورة النمل (٣) .

⁽١) الزركشي: البرهان ، ج ٢٦٣/١ .

⁽٣) صاحب الجواهر: الشيخ محسن،الفرائد الفوالي علىشواهد الأماليالسيد المرتضى ص٥٨٠.

⁽٣) انظر للمؤلف: التَجويد وآداب التلاوة؛ بحث البسملة، وراجع مسائــل فقهية للسيد عبد الحسين شرف الدين، الدكتور ابراهيم بسيوني: البسملة ص ١٠٠.

معرفة الآية :

بالرغم من معرفتنا أن الآية هي طائفة من حروف القرآن الكريم ، وأنها أصغر الوحدات التي يتألف منها النص القرآني ، ويفصل بين الواحدة منها والاخرى فاصل ، إلا أن ترتيب الآيات وموقسع الآية من السورة ، ومعرفة كونها آية أم لاكل ذلك يتوقف على الشارع . فمعرفتنا الآية تتم من صاحب الرسالة الفرآء الرسول مساهل فسلا بجال المعرفة غير هذا الجمال ، فالتوقيف الشرعى هو وحده مصدر معرفتنا بذلك .

ولهذا فــــإن (ألم) تعدّ آية حيث وقعت من السور المفتتح بها (١) و (حم) و (المص) كذلك . وليست (طس) ولا (الر) آية لعدم ورود النص بها ، وهذا مذهب الكوفيين ، وما سواهم لم يعدوا شيئًا منها آية .

المطلب الثالث

ترتيب الآيات والسور

نبحث فــــيا يلي ترتيب كل من الآيات والسور من حيث النزول والتدوين والتلاوة لما بين هذه الامور الثلاثة من فوارق .

١ ـ ترتيب الآيات :

أ ـ ترتيب النزول :

سبق أن ذكرنا أن نزول الآيات تم تنجيماً ، ومع ذلك لم يكن على نحو تتابعها الخاص المدون في سور المصحف . فقد يفصل بين الآية ومــــا بعدها من

⁽١) كما في سورة البقرة ، و1ل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

آيات السورة نفسها فاصل زمني يطول أو يقصر حسب الحكة التشريعية الإلهية فتظل السورة طيلة هذه المدة مفتوحة بانتظار بقية آياتها ، وخلال ذلك الفاصل الزمني قد تنزل آيات سورة أخرى، حتى إذا اقتضت حكمة الله، وحاجة الناس إلى تكلة السورة الاولى نزلت بقية أو بعض آياتها .

ويمرف ترتيب نزول الآيات من الروايات المنقولة والنصوص التاريخيــة والشواهد التي قارنت النزول .

ب ـ ترتيب التدوين ،

من الواضح ان لكل آية موضعها الخاص بين آيات سورتها ، وهــــذا الموضع يعرف عن رسول الله عن جبريل عن الله تمــــالى . وهو ثابت قطعي لا خلاف فيه بــــين المسلمين ، وهو كما مدون في المصاحف الشريفة التي بأيدينا ، والمنقولة نقلا متواتراً عن الرسول الأمين عنها الله المنافقة التي بأيدينا .

فلقد كان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه وكتبة وحيه مــا ينزل من القرآن على الترتيب الذي هو عليــه الآن في المصاحف ، بتعليم من جبريل عند نزول كل مقدار من الآيات انها تكتب بعد آية كذا في سورة كذا .

ولهذا في إن ترتيب الآيات في السور ترتيب إلهي ، تولاه النبي عَيْمَاتُكُ كما أخبره به جبريل عن أمر ربه ، لأن القرآن محفوظ في اللوح الثابت ، على هــذا الترتيب ، وليس في ترتيب الآيات أية رخصة .

جـ ترتيب التلاوة :

كان رسول الله ﷺ يقرأ سوراً عديدة بترتيب آياتها الترتيب الموضعي والذي دونت بموجبه على التواتر ، لا حسب ترتيب نزولها فكان ذلك دليلاً صريحاً ان ترتيب الآيات توقيفي في تدوينها وفي تلاوتها ، فلا تجوز ولا تصح تلاوة الآيات على غير ترتيبها الذي تم تدوينها بموجبه في المصاحف .

٢ ـ ترتيب السور:

أ ـ ترتيب نزول السور ،

لا شك أن ترقيب نزول السور ليس على نسق ما هي عليه في المصاحف. فنحن نجد أن ترقيب نزول القرآن يبدأ بسورة (العلق) في مكة ثم (ن والقلم) ويستمر النزول ما يقرب من ثلاث عشرة سنة تعقبها الهجرة المباركة حيث يبدأ النزول في المدينة المنورة بسورة (البقرة) ثم (الأنفال) ، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن الكريم هي سورة (النصر) نزلت في (منى) في حجة الوداع. وقيل إن آخر ما نزل من الآيات واليوم اكملت لكم دينكم واتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، المائدة / ٣ نزلت بعرفات في حجة الوداع أيضاً. وبعدها بقرابة شهرين دعا الله تعالى رسوله وحبيبه إلى دار الكرامة والبقاء.

ب ـ ترتيب التدوين ،

ذكرنا قبل قليل ترتيب نزول السور وهو يختلف تماماً عن ترتيب تدوينها في المصاحف حيث يبتدىء بسورة (الفاتحــة) وهي مكية مدنية ، ثم سورة (البقرة) وهي مدنية نزلت بعد الهجرة، ثم سورة (آل عمران) وينتهي المصحف بسورة (الناس) وهي مكية وآخر سورة في جميع المصاحف .

وقد اختلف الناس في ترتيب تدوين السور في المصاحف إلى ثلاثة اتجاهات: فمنهم من قال أنه اجتهادي، قال ابن كثير (فأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه) (١) (وهذا مذهب مالك والقاضي الباقلاني) (٢).

ومنهم من قال أنه توقيفي كله لا يدخله الرأي والاجتهاد كترتيب الآيات ضمن كل سورة . ومنهم من فصال ، فقال : منه ما هو توقيفي ومنه مـــــا هو

⁽١) فضائل القرآن ، ص ١٢.

⁽٣) الزركشي : البرهان ، ج ٧/١ .

اجتهادي. وقد اجتهد كل فريق بحشد أدلة من الروايات والسيرة لتأييد واسناد ما ذهب إلىه (١) .

غير ان اختلاف مصاحف الإمام على المسلام وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عبدالله بن عبدالله بن عبدالله جعفر محمد في ترتيب سورها يشير إلى أن ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة الجامعين ، بخلاف وضع الآيات في محالها فإنه كان بنص النبي المسلامين ، وتواتر عنه ذلك .

جـ ترتيب تلاوة السور:

إن تلاوة السور ليست توقيفية كتلاوة الآيات ، بل للقارى، أن يقرأ من السور ما يتيسر له دون التزام بترتيب معين ، دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليم قرأ في قيام الليل (البقرة) ثم (النساء) ثم (آل عمران) (٢٠).

كما ان للقارىء أن يرتل ما يتيسر له من آيات سورة من السور دون التزام بتكلة تلك السورة ، ولكن على حسب ترتيب آياتها المدونة في المصحف كما ذكرنا .

المبحث الثاني

حكمة جعل القرآن سورأ

نحن نعتقد ان الله تعالى حكيم في كل ما يصدر عنه ، منز"، عن العبث ، وقد شاءت إرادته أن يجعل القرآن سوراً ، ولم يجمله باباً واحداً ، ولا بد أن يكون

⁽١) أنظر الزنجاني : تاريخ القران ، ابن ابي داود : كتاب المصاحف، ابن كثير : فضائل القران ص ٣٦ ، وما بعدها .

⁽٢) ابن كثير : فضائل القران ص ٢٤ .

ذلك منه عن قصد وتدبير ، وحكمة وتقدير ، واسرار هو أعلم بها .

غير أن هذا الاعتقاد لا ينافيه أن نقول بوجود حكم وفوائد يمكن للمقل أن يستشفها ويدركها . قد تكون هي الأسباب التي جاء القرآن من أجلها سوراً ، وقد لا تكون ، باعتبارها ليست اموراً شرعية منصوصة بل هي قضايا تتوقف على فهم روح الرسالة ومنهج القرآن وطبيعة المجتمعات .

وإذا لم يكن ما سنذكره أسباب جمل القرآن سوراً ، فلعلها من جمـــلة تلك الأســاب :

١ ـ التعجيز :

فقد تحدى القرآن الكريم أن يؤتى بسورة من مثله دونما تعيين ، ولما كانت سوره الشريفة مختلفة في عدد آياتها ، ومتباينة في موضوعاتها التي عالجتها ، وضروب وأساليب البلاغدة وصور الفصاحة التي تضمنتها ، فصارت سورة (الكوثر) بآياتها الثلاث، معجزة كإعجاز سورة البقرة، مما يدل على أن الإعجاز في القرآن غير متوقف على طول أو قصر السورة ، ولا على موضوع التشريع ، أو اسلوب القصة أو أخبار الحشر والنشر والامم الفابرة ، ولا على براهين العقيدة العقلية وما إلى ذلك . بل كل سورة في القرآن موضع تحدير ومعجزة ، وكل سور القرآن معجزات رغم التباين فيا بينها .

٢ ـ التيسير :

ان من يستظهر سورة كاملة من القرآن يكون - عادة - أنشط في استظهار

سورة أخرى ، وأبعث على ادامـة واستمرار الاستظهار من أن يستظهر القرآن كله، باباً واحداً ، أو متصلاً دون تفصيل. إذ السور تبعث التدرج في الاستظهار وتيسره على الحفـّاظ .

٣ ـ التشويق :

٤ ـ التبويب ،

ان اختلاف مواضيع وأهداف السور الكريمة ، وتباين النواحي البلاغية والبيانية التي تعرضت إليها ، وتفاوت الأساليب النظمية ، والتصويرات الحسية التي شاعت بين آياتها، لزم أن تحتفظ كل سورة من سور القرآن الكريم بمضامينها ومعالمها الخاصة ، واستقلالها عن سائر السور .

فالقارىء للقرآن الكريم يجد في كل سورة عبيراً ، وفي كل آية نفحة تشييع فيه إحساساً خاصاً ، فسورة (يوسف) تترجم عن قصته ، وهي وان زادت على مائة اية إلا أنها لم تذكر جنة ولا ناراً . وسورة (المجادلة) ضمّت كل اية فيها اسمه تمالى ، وسورة المنافقين تترجم عن سيكولوجية النفاق ، وتفضح مكائد المنافقين وتكشف أساليب خداعهم ومكرهم وهكذا .

المبحث الثالث

أسماء السور وتقسيمها

١ ـ أسياء السوز :

ذكرنا ان السورة وحدة قرانية تضم ثلاث آيات فأكثر . والغالب ان لكل

سورة اسماً وللبعض منها اسمان أو أكثر. فسورة الفاتحة تسمى (فاتحة الكتاب) و(ام الكتاب) و(السبع المثاني) وقيل ان لها نيفاً وعشرين اسماً لشرفها. وسورة (محمد) قد تسمى سورة (القتال) ، وسورة (غافر) قد تسمى سورة (المؤمن) ، وسورة (براءة) قد تسمى سورة (التوبة) و(الفاضحة) و(الحافرة) و(العذاب).

وتسمية السور قد يكون باعتبار أولها فسورة التوبة تسمى (براءة) لافتتاحها بهذه الكلمة . وقد تسمى بما اختصت به السورة كسورة (النساء) لما تردد فيها من ذكر للنساء وأحكامهن ، في حين يسمى البعض الآخر بما تحكيه من قصص أو تفصل من أحكام وهكذا . وكما تسمى سورة واحدة بأسماء عديدة ، تسمى سور باسم واحد ، كالمساة بسور (الر) و(الم) على القول بأن فواتح السور أسماء لها .

ونحن لا نملك ما نستطيع معه الجزم على أن أسماء السور توقيفية ، مع ما لدينا من كثرة أسماء للسورة الواحدة ، ومن تعاليل لهـذه التسميات فسورة تسمى سورة (غافر) لأن فيها « غافر الذنب . . » وهي تسمى مؤمن لأن فيها « وقال رجل مؤمن . . » آية ٣ ، ٢٨ . يضاف إلى ما ذكرنا ان في المسلمين من عارض وضع الأسماء على سور المصحف العثماني، وان لدينا بعض المصاحف خالية من هذه الأسماء مما يرجح القول إنها أسماء اجتهادية وليست توقيفية .

٢ ـ تقسم السور:

تقسم السور الكريمة مجسب عدد آياتها الكريمة إلى :

أ ـ السبع الطئوك :

جمع طولى ، تأنيث الأطول ، كالكئبرَ جمع كُبرى مؤنث أكبر وسميت طُوكًا لأنها أطول سور القران ، وهي (البقرة) و (آل عمران) و (النساء) و (المائدة) و (الأنعام) و (الأعراف) ، أما السابعة فقيل أنها سورة يونس (١٠)،

⁽١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١/٥ ٣ ، السيوطي : الاتقان ، ج ١/٤٦ .

وفي رواية أخرى أنها سورة الكهف (١) .

ب ـ المنون :

سميت بذلك لأن كل سورة منها أقصر من الطــُوَل وتزيد آياتها على مائة اية وهي : (التوبة) و(النحل) و(هود) و(يوسف) و(الكهف) و (الاسراء) و(الأنبياء) و(طه) و(المؤمنون) و(الشعراء) و(الصافات) .

ج ـ المثاني :

وهي السور ما بعد المئين ، قيل في سبب هذه التسمية إنها ثنت المئين بعد السبع الطول ، وقيل لتثنيتها الأمثال التي ذكرتها ، وهي السور التي اياتها أقل من مائة .

د ـ المفصل :

وهي قصار السور من سورة الحجرات حق سورة الناس سميت بذلك لكثرة ا الفصول بين سورها بالبسملة .

٣ ـ عدد سور القرآن وأياته وحروفه :

يحسن أن نذكر أن عدد سور القران (١١٤) سورة وعدد اياتها على طريقة الكوفيين عـــن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب عنيستهد آي القران على طريقتهم (٦٢٣٦) اية (٢) وأن حروفه بلغت (٣٢١٢٥٠) حرفاً.

⁽١) آيات سورة يونس (١٠٩) وسورة الكهف (١١٠) ولعـل النردد في أي منها السابعة مبعثه طول السورة اعتمادًا على عدد حروفها لا على عدد آياتها . ولذلك صارت سورة (الكوثر) أقصر السور مع أنها ثلاث آيات وسورة (النصر) ثلاث آيات ولكن الاولى أقل حروفًا .

⁽٢) وحكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان ، أنظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١/٧ ، الزركشي : البرهان ، ج ٩/١ ، السيوطي : الاتقان ، ج ١٤/١ - ٧٠ .

واتفاق المسلمين على أن عدد سور القران مائة وأربع عشرة سورة كما ذكرنا أولها الفاتحة واخرها الناس ، كما هي في المصحف العثاني ، ومن جعل سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة (١) عدها مائة وثلاث عشرة.

وأما ما يقال أن مصحف عبد الله بن مسعود فيه مائة واثنتا عشرة سورة فسبب ذلك أنه لم يدون المعوذتين لشبهة (الرقية) (٢) ثم رجع عن ذلك .

⁽١) تدعى سورتا الأنفال والتوبة القرينتين لأنها لم يفصل بينهما (بسم الله الرحمن الوحم) فاربما عدها العادون سورة واحدة .

⁽٢) الرقية: أن يستمان بقوى تفوق القوى الطبيعة لأمر من الامور. وإنما اعتبر ابن مسعود المعوذتين رقية حيث قيل أن رسولالله (ص) كان يقرؤهما، وكذا الزهواء فاطمة (ع) على الحسن والحسين عليهما السلام حفظاً لهما من الشعوور .

الفصل السابع

شكل المصحف وإعجامه

- معنى الشكل والإعجام .
- تاريخ شكل المصحف وإعجامه .
- الآراءُ في شكل المسحف وإعجامه .

المبحث الاول

معنى الشكل والإعجام

الشكل:

يصطلح على الرموز الكتابية التي تضبط حركات الأحرف أو تدل على إعراب الكلمة بـ (الشكل) ، وهي العلامات التي تـــدل على الفتح والكسر والضم والسكون والتنون .

وقد بدأ الشكل أول مرة بوضع (نقطة) مدورة فوق أول الحرف للدلالة على الفتح ، ونقطة على آخره للدلالة على الكسر ، ونقطة على آخره للدلالة على الكسر ، ونقطة على آخره الدلالة على الضم ، ونقطتين علامة السكون .

ثم تطورت هذه العلامات؛ قصارت – كها هو معروف الآن – الفتحة خطأ مائلًا تحته ، والضمة واواً صفيرة فوقه ، والسكون دائرة صفيرة فوقه ، والتنوين علامتين من هذه العلامات .

الاعجام :

الإعجام لغة الاختبار والتمييز؛ يقال عجمت المود فوجدته هشا أي فحصت قوته واختبرتها .

والإعجام في الكتابة يعني تمييز الحروف المتشابهة في الرسم كالباء والتاء والثاء وكالحاء والحاء والحاء والحاء والحاء والحاء والحاء والحاء والحميم ، وكالسين والشين ونحوها .

(14)

ويتم تمييز هذه الحروف بوضع نقطة أو أكثر فوق الحرف أو تحته للتفريق بينها ٬ فالباء المعجمة ماكان تحتها نقطة ٬ والثاء ماكانت فوقها ثـــلاث نقاط . والحاء المهملة هي الحالية مزالنقاط والجيم المعجمة ما تحتها نقطة واحدة وهكذا.

وعلى ضوء هذا البيان يتضح أن شكل المصحف يعني العلامات الكتابية التي عينت حركة حروف كلماته . وإن إعجام المصحف يعني تمييز حروفه المتشابهة في الرسم بعضها عن البعض الآخر بالنقط .

المبحث الثاني

تاريخ شكل المصحف واعجامه

كان المرب حديثي العهد بالكتابة والخط ، وقد تلقوا ممرفة الخط عن طريق الاتصال بين أفرادهم وأهل العراق أو الشام . الأمر الذي أدَّى إلى تعلمه في الحجاز ، وكان الخط الشائع هو السرياني ، وهو خال من النقط ثم تطور إلى الخط الكوفي المعروف .

وكان العرب بما لديهم من أصالة الفصاحة، والمنعة الذاتية عن اللحن، والذوق الأصيل في النطق الصحيح، في غنى عن الشكل والإعجام فـــــيا يقرؤون أو يكتبون.

وتدوين القرآن في عهد الرسول ﷺ ونسخه في المصاحف في عهد الصحابة والحلفاء ، وكذلك النسخ العثانية الام كانت خالية من الشكل والإعجام .

ويقول أبو حيان التوحيدي : (ان علي بن أبي طالب عنيت الله مع قارئكاً يقرأ على غير وجه الصواب ، فساءه ذلك ، فتقدم إلى أبي الاسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلا ومثالاً وقياساً بعد أن فتق له حاشيته ، ومهد له مهاده ،

وعن يحيى بن يعمر ان أبا الاسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبت مما أشد الحر" (رفعت دال أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد ؟ فقال له : شهر ناجر (يريد شهر صفر . كانت الجاهلية تسمي شهور السنة بهذه الأسماء) . فقالت يا أبت : إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عصله ن فقال : يا أمير المؤمنين ذهبت لغة المرب الم خالطت العجم ، وأوشك أن تطاول عليها زمان أن تضمحل ققال له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأمل عليه : الكلام كله لا يخرج من اسم وفعل وحرف جاء لمنى (وهذا القول أول كتاب سبويه) ثم رسم اصول النحو كلها فنقلها النحويون وفر عوها ، (وقيل لابي الاسود الدؤلي من أين لك هذا العلم – يعنون النحو – فقال : أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب علاميلاد) (٢٠).

وقد اشتهر أيضاً أن أبا الأسود الدولي أفزعته حادثة فسبق إلى وضع علامات حتى يعرف الناس بها كلام الله تعالى . فقد سمع قارئاً يقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهُ بِرِيْءَ مِن المشركين ورسوله . ﴾ التوبة / ﴿ فقرأ بِكسر اللام (رسوله) فقال أبو الأسود عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، فاجتهد لمنع الجهال من هذا اللحن في كتاب الله . فوضع علامة الضم نقطة مدورة بين أجزاء الحرف، وعلامة الفتح نقطة فوقه ، وعلامة الكسر نقطة تجته ، وجعل علامة السكون نقطتين .

وجياء أيضاً: (ان أول من وضع نقط المصحف وحفظه من التحريف أبو الأسود الدؤلي صاحب لممير المؤمنين) (٣).

⁽١) التوحيدي ؛ البصائر والذخائر ، ج ١ / (بغداد ٤٩٠٤) ص ١٧٥.

⁽٧) أبو الفرج الاصبهاني : الاغاني ج ٧ ٩ ٨/١ ، وما بمدها .

⁽٣) الصدر : تأسيس الشيعة ، ص ٣١٨ ، انظر كذلك : الحكم في نقط المصحف للداني ، والبرهان للزركشي ج ٢/٠٠٨ ، وانظر الانقان للسيوطي ج ٢/٧١/

وقال القلقشندي: وقد روي ان أول من نقط القرآن ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقيد أمير المؤمنين علي كرام الله وجهه (١) وهسده النقط المدورة هي بداية شكل القرآن.

وقيد ل إن تلميذ أبي الأسود الدؤلي وهو يحيى بن يممر هو أول من نقط المصحف (٢٠) ، وقيل أنه نصر بن عاصم .

وعلى أية حال فقد استمر الخط القرآني تشكله هذه الدوائر التي دو"نت بلون يفاير لون الخيط خشية أن تختلط بالحروف القرآنية وتمجم بعض حروفه نقط وحتى جهاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ه) حيث أكمل شكل الخيط المعربي واستبدل النقط المدورة بعلامات هي الفتحة والكسرة والضمة والسكون ثم أعقبه سهل بن محمد المعروف بأبي حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ه) فألتف كتابا في نقط القرآن وشكله .

وفي نهاية القرن الثالث المجري بلغ رسم الخط فروته في الاتقان والجودة والحسن ، وانتشر وشاع هنها المسكل ، وانتشر وشاع هنها الشكل الجديد من الخط والنقط والشكل ، حتى عم والفناء في المساحف التي بأيدينا ...

الميخث الثالث

الآراء في شكل المصحف وإعجامه

نستطيع بما لدينا من روايات ونصوص ، ان نصنف المواقف التي اتخذت إزاء

٠ (١) صبح الأعشى ، ج ١/٣ ه ١ .

⁽٢) ابن أبي دارد ، كتاب المصاحف ، ص ٢١ ، ١٠.

شكل المسحف بالنقط المدورة إلى ثلاثة اتجاهات (١١) ، فينها مانع؛ ومنها مجيز، ومنها مجيز، ومنها مفصل :

أَ - فَالصَحَابِي عَبِدَاللَّهُ بَنَ مُسْعُودَ - كَمَا حَسَاءُ ذَلَكُ عَنَ أَبِي عَبِيدِ وَغَيْرُهُ - أَنهُ قَالَ : (جَرَّدُوا القرآنُ وَلا تَخْلَطُوهُ بِشِيءٌ) .

ب - وقال النووي: نقط المصحف وشكله مستحب و لأنه صيانة له من اللحن والتحريف. وأخرج ابن أبي داود: عن الحسن وابن سيرين عن المصحف ينقط بالنحو ؟ فقالا لا بأس به . وعن خالد الحذاء: قال رأيت ابن سيرين يقرأ في مصحف منقوط . وعن نافع بن أبي نعم القارىء قال سألت ربيعة بن أبي عبدالرحن عن شكل القرآن في المصاحف و فقال: لا بأس به .

ج - وقال مالك : لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها العلماء ، أما الامهات فلا ، وقال مجاهد ينبغي ألا يُشكس إلا ما يُشكل أ.

ان هـــذه المواقف المتفاوتة إزاء العلامات التي تضبط حركة الحروف في المصحف ، فيها قـــدر جامع متيقن ، هو الحرص على سلامة القرآن الكريم ، والحفاظ عليه من الزيادة والنقصان ، واللحن والتحريف. وقد اختلفت الوسائل واتفقت الأهداف واتحدت الغايات :

1 - فمن أجاز شكل المصحف أدرك أن هذا العمل من أسباب الحفاظ عليه من اللحن، والتورط في تغيير الاعراب أو النطق بالكلمة، الأمر الذي قد يفضي إلى تغيير مضاد في المعنى ، لأن التوسع الإسلامي لم يضف أمما إلى العرب ليست لديها المنعة الذاتية والقدرة على تجنب الخطأ واللحن في القرآن فحسب ، بـل ان اختلاط تلك الامم بالعرب أنفسهم، أفقدهم تلـك الأصالة في النطق الصائب،

⁽١) ابن أبي داود : كتاب المصاحف، ص ١٤٢ ـ ٣٤١، السيوطي: الاتقان ج ١٧٣/٠.

والقراءة القويمة ، والاغراب الصحيح ، ثما دفع النيورين على سلامة القرآن ، أن يجيزوا (١) شكل المصحف .

٧ - ومن توقف ، أو كره النقط ، أدرك أن تجويز النقط والشكل في المصاحف قد يؤدي إلى عدم التمييز بين الأحرف القرآنية وغير القرآنية ، بما قد يفضي إلى التحريف وعدم تمييز الناس بينها فطلبوا تجريد المصحف بما ليس بقرآن كالنقط والتمشر ونحوها .

ومن فصل ، فقــد أجاز النقط للتمليم ، حياطة للقرآن وحفظاً من اللحن ، ومنعها عن المصاحف الام للاحتفاظ بالنسخ الأصلية .

كما ان من أجاز فقد طلب تحبير الشكل والإعجام بلون حبر يغاير لون حبر الخط القرآني في المصحف .

وهكذا يتجلى لنا حرص الاتجاهات كافة ، والغيرة على صيانة القرآن العزيز. وإنما كان الاختلاف : في السبل المؤدية إلى تحقيق هـذا الهدف المشترك وفقاً لمقتضيات الظروف ، وزوايا النظر والتفكير .

وحسين زالت المخاوف من اختلاط الشكل والإعجام بالحروف القرآنية ، بزوال مبرراتها ، لم يبق للمارضة وجود يذكر، قال أبو عمرو الداني : ثم اطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الامهات وغيرها . فلقد تنو عت لهجات ولفسات المسلمين ، فصار شكل القرآن وإعجامه من الأهمية عكان لمان هنأة المقروء .

فشاعت المصاحف الشريفة في ربوع العالم الإسلامي ، وهي مشكلة معجمة محفوظة من كل تحوير أو تزوير .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون والحمد لله رب العالمين

⁽١) ولمل بما يؤيدنا فيا ذهبنا إليه من تحليل أن ابن سيرين وغيره ما نعوا من نقط المصحف وطلبوا تجريده منها ، ثم أنهم قالوا لا بأس بها وقرأوا في مصاحف منقطة . انظر الروايات : كتاب المصاحف ، ص ١٤١ وما بعدها .

المصادر والمراجع

المصادر

- ١ ابن عباس: عبدالله (ت ٦٨ ه).
- تنوير المقباس، مطبوع هامش الدر المنثور للسيوطي، (طهران ١٣٧٧ ه).
 - ٣ ابن الكلبي : هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) .
- كتاب الأصنام ؛ تجقيق أحمد زكي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، سنة ١٣٤٣ هـ – سنة ١٩٢٤ م (القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م) .
 - ٣ الفرّاء : يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) .
 - مماني القرآن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة ١٩٦٦ م) .
 - ٤ ان هشام: عبدالملك (ت ٢١٨ه) .
- السيرة النبوية٬ تح/السقا والابياري وشلبي٬ (القاهرة ١٣٥٥ هـ-١٩٣٦م).
 - ه -- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب ٬ (ت بعد ٢٩٢ ه) .
 تاريخ اليعقوبي ٬ (النجف ١٣٨٤ ه ١٩٦٤ م) .
 - ٣ الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
 - تاريخ الرسل والملوك ٧ (القاهرة ١٩٣٨ م) .
 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (القاهرة ١٣٧٣ هـ) .

- ۷ السجستاني : عبدالله بن أبي داود ، (ت ۳۱۲ه) .
 کتاب المصاحف،تصحیح د. آرثر جفري ط/الاولی (القاهرة ۱۳۵۵ه ـ ۱۹۳۹ م) .
 - ٨ الأصبهاني : علي بن الحسين ، (ت ٣٥٦ م) .
 كتاب الأغاني ، (القاهرة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م) .
 - ٩ الصدوق : محمد بن علي القمي ، (ت ٣٨١ هـ) .
 الخصال ، (طهران ١٣٣٠ هـ) .
 التوحيد ، (طهران ١٣٧٥ هـ) .
- ١٠ الباقلاني : محمد بن الطيب ، (ت ٤٠٣ هـ) .
 اعجاز القرآن ، مطبوع حاشية الاتقان للسيوطي ، (القاهرة ١٣٧٠ هـ
 ١٩٥١ م) وطبعة أخرى مستقلة ، (القاهرة ١٩٦٣ م) .
 - ١١ الشريف الرضي : محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى ، (ت ٤٠٦هـ) .
 تلخيص البيان في مجازات القرآن ، (بغداد ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م) .
 - ١٢ المفيد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، (ت ٤١٣ هـ) .
 الارشاد ، (النجف الأشرف ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م) .
 - ١٣ القيسي : مكي بن أبي طالب حموش ، (ت ٤٣٧ هـ) . الابانة عن ممانى القراءات ، (القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) .
 - ۱۶ ابن حزم : علي بن أحمد ، (ت ٤٥٦ هـ) . ممجم فقه ابن حزم الظاهري ، (دمشق ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م).
- ١٥ -- النيسابوري : علي بن أحمد الواحدي ، (ت ٤٦٨ هـ) . أسباب النزول ، ط ١ ، (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) ، (القاهرة ١٣٨٨ هـ -١٩٦٨ م) .
 - ١٦ الراغب : الحسين بن محمد بن المفضل ، (ت ٥٠٢ هـ) .
 المفردات في غريب القرآن ، (طهران لا. ت.) .
 - ١٧ الطبرسي : الفضل بن الحسن ، (ت ٥٤٨ ه ، ٥٥٦ ه ، ١٦٥ ه) .

- ١٨ ابن الزملكاني : عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري ، (ت ٢٥١ هـ) .
 التبيان في علم البيان المطلم على اعجاز القرآن (بغداد ١٣٨٣ هـ-١٩٦٤م).
 - ١٩ ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ؛ (ت ٧١١ هـ) . لسان العرب : الطبعة الاولى (مصر لا. ت.) .
- ٢٠ العاوي اليمني : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم ، (ت ٧٤٩هـ) .
 الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعــــاوم حقائق الاعجاز ، (القاهرة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) .
 - ٢١ ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، (ت ٧٧٤ هـ) .
 تفسير القرآن المظم ، (القاهرة لا. ت.) .

فضائل القرآن ، مطبوع مع الكتاب السابق في الجزء الرابع ، تم تأليفه سنة ٧٥٩ ه .

- ۲۲ ــ الزركشي : محمد بن عبدالله ، (ت ۷۹۶ هـ) . البرهان في علوم القرآن ، ط ۱ ، (۱۳۷۲ هـ - ۱۹۵۷ م) .
 - ۲۳ الجرجاني : علي بن محمد بن علي ، (ت ۱۹۲۸هـ) . التعريفات ، (القاهرة ۱۳۵۷هـ – ۱۹۳۸م) .
- ٢٤ القلقشندي : أحمد بن علي ، (ت ٨٢١ هـ).... صبح الأعشى في صناعة الانشاء مصورة ، (١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م) .
- ٢٥ السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت ٩١١ هـ) .
 ممارك الاقران في اعجاز القرآن ، (دار الفكر العربي ١٩٦٩ م) .
 الاتقان في عاوم القرآن ، (القاهرة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م) .
 - ٢٦ القسطلاني: أحمد بن محمد المصري الشافعي ، (ت ٩٢٣ م) . لطائف الإشارات لفنون القراءات (القاهرة ١٣٩٢ م - ١٩٧٧ م) .
 - ۲۷ الجزائري : الشيخ أحمد (ت ۱۱۵۱ هـ) .

- قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر (المنجف ١٣٨٣ هـ ١٩٩٣ م).
 - ٢٨ الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني * (ت ١٢٠٥ هـ) .
 - ً تاج المروس : (الكويت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م) .
 - ٢٩ الصدر : حسن بن الهادي ، (ت ١٣١٢ ه) .
 تأسيس الشيعة العادم الإسلام ، (بغداد ١٩٥١ م) .
- ٣٠ آل الشيخ صاحب الجواهر : الشيخ محسن ، (ت ١٣٥٥ هـ) .
 الفرائد الغوالي على شواهد الأمـــالي للسيد المرتضى ، (مطبعة الآداب ،
 النحف لا. ت.) .
 - ٣١ الزنجاني : أبو عبدالله بن الميرزا نصرالله ، (ت ١٣٦٠ هـ) . تاريخ القرآن ط/٣ ، (بيروت ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م) .

المراجع

- ٣٢ ــ أبو رية : محمود ، قصة الحديث النبوي ، (القاهرة ١٩٦٩ م) .
 - ٣٣ ــ بسيوني : الدكتور ابراهيم ، البسملة ، (القاهرة ١٩٧٢ م) .
- ٣٤ الجارم : محمد نعمان ، أديان العرب في الجاهلية ، (القاهرة ١٩٢٣ م) .
- ٣٥ زكريا : مهندس زكريا هاشم ، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم ، (القاهرة ١٩٧٠ م) .
- ٣٦ حقي : إحسان ، مثوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس) ، (دار اليقظة لا. ت.) .
 - ٣٧ ــ حسن حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام ، (القاهرة ١٩٦٤ م) .
 - ٣٨ حسن : علي ابراهيم : التَّاريخ الإسلامي العام ، (القاهرة ١٩٦٣ م) .
- ٣٩ ــ الحسني: عبد الرزاق؛ الصابئون في حاضرهم وماضيهم (لبنان ١٣٩٠هــ مر) .
 - ٤٠ هيكل : محمد حسنين ، حياة محمد ، (القاهرة ١٩٦٥ م) .

- ٤١ الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (طهران-بلا. ت.).
 - ٢٤ كحالة : عمر رضا ، العالم الإسلامي ، (دمشق ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م) .
- ٢٤ موسكاتي : سبتينو ، الحضارات السامية القديمة ، تر : السيد يعقوب بكر
 (القاهرة لا. ت.) .
 - ٤٤ نبي : مالك ، الظاهرة القرآنية ، ط/٢ ، (١٩٦١ م) .
- ه ٤ نوفل : عبدالرزاق، الله والعلم الحديث، (القاهرة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧م).
- 47 ــ سوسة : الدكتور أحمد ، المرب واليهود في التاريخ ، (بغداد ١٣٩٢ هــ ١٩٧٢ م) .
- ٤٧ عودة : عبد القادر ؛ التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ط/٢ ، (القاهرة ١٣٧٨ه ١٩٥٩ م) .
- الكتاب السابق ، تعليق المرحوم السيد اسماعيت ل الصدر (النجف ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م) .
- 44 الفندي : الدكتور محمد جمال الدين ، روائع الاعجاز في القرآن الكريم (القاهرة ١٣٨٩ ه ١٩٦٩ م) .
 - ٩٤ فروا : م. غود ٬ النظم الاسلامية (بيروت ١٩٦١ م) .
- ٥٠ الحوثي : الامــــام السيد أبو القاسم ، البيان في تفسير القرآن (النجف ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م) .
 - ٥١ الخشاب : الدكتور أحمد ، الاجتماع الديني طا/٣ ، (القاهرة ١٩٧٠ م) .
 - ٣٥ قطب : سيد ، التصوير الفني في القرآن ، (القاهرة ١٩٩٣ م) ،
- ۴ شامين : الدكتور عبدالصبور، تاريخ القرآن (القاهرة ١٩٦٦ ١٩٦٧م).

م الكتاب تفصيلاً الكتاب تفصيلاً

نبحة	الموضوع الموضوع المعادية المعا
7	الاعداء
Y	المقنمة الأماني الأمانية
11	الفصل الأول : تعريف علوم القرآن على المناسبة
۱۳	المبحث الأول : عادم القرآن بالمعنى التركيبي
۱۳	المطلب الأول : العلم لغة واصطلاحاً
11	المطلب الثاني : القرآن لغة واصطلاحاً
۱۸	المبحث الثاني: عادم القرآن بالمعنى الإفرادي
19	المطلب الأول : أمثلة على عاوم القرآن ﴿
11	١ - علم التفسير ٢ - علم آيات الأحكام ١٠٠٠
Y •	٣ ــ علم الاعجاز ٤ ــ علم المكي والمدني
۲٠	ه - علم أسباب النزول
*1	٦ - علم الناسخ والمنسوخ
22	٧ - علم الحكم والمتشايه ٨ - علم الاعراب وعلم البلاء
22	 ٩ - علم الرسم القرآني ١٠ - علم القراءات
70	المطلب الثاني: لحمة تاريخية عن عاوم القرآن
44	الفصل الثاني و القرآن الكريم
44	المبحث الأول: أسماء القرآن ومناسباتها
٤٧	المبحث الثاني: إعجاز القرآن
٤٨	المطلب الأول : المعجزة
٥٠	المطلب الثاني : الحاجة إلى المعجزة
٥٠	أ – حاجة النبي إلى المعجزة
٥١	ب – حاجة الناس إلى المعجزة

الصفحة	للوضوع
114	٢ - تثبيت فؤاد إلرسول ميالين
119	به - تيسير حفظ القرآن
18.	ثانياً: حَكَم تَخِصُ الْقِرآن الكريم
14.	. ۱ – بیان اعجازه
ي ۱۲۱	٢ – بيان الميزة العملية اللقرآن ع ٣ – أولوية الوح
177	٤ — التدرج التشريعي .
175	ثالثًا: حكم تخصُّ الناس
175	١ – قوة الالزام والاقناع
١٢٣	٧ – ربط المسلمين بالمصدر التشريعي
١٢٣	٣ – دفع الضيقُ والحرج التشريمي
178	والمبحث الخامس: أسباب النزول المناب النزول
178	المطلب الأول : معنى سبب النزول
124	المطلب الثاني : أحمية معرفة سبب النزول
	المطلب الثالث : تمدد الأسباب والنازل واحد وتعدد النازل
14.	والسبب واحد .
144	المطلب الرابع : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
140	الفصل الرابع : المكي والمدني
144	المبحث الأول : معرفة المكي والمدني
١٣٧	المطلب الأول: مصادر معرفة الميكي والمدني
149	المطلب الثاني : أسس التمييز بين المكي والمدني
127	المبحث الثاني : خصائص إلمكي والمدني
124	الفصل الخامس : جمع القرآن وتدوينه
119	المبحث الأول : جمع القرآن وتدوينه في عهد رسول الله ﷺ
189	المطلب الأول : معاني جمع القرآن وأدواته

الصفحة	الموضوع
101	المطلب الثاني: استظهار القرآن في عهد رسول الله يهيان الله الله الله الله الله الله الله ال
107	المطلب الثالث : تدوين القرآن في عهد رسول الله عليه الله
17.	المبحث الثاني : جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء
17.	المطلب الأول: جمل القرآن مصحفاً
177	المطلب الثاني: توحيد المصاحف
171	المطلب الثالث : المصاحف العثبانية ومصيرها
179	الفصّل السادس : سورة القرآن وآياته
۱۷۱	المبحث الأول : السورة والآية : تعريفها – معرفتها – ترتيبها
141	المطلب الأول : تعريف السورة والآية
177	المطلب الثاني: معرفة السورة والآية
۱۷۳	المطلب الثالث: ترتيب الآيات والسور
177	المبحث الثاني: حكمة جعل القرآن سوراً 💮
177	١ - التمجيز ٢ - التيسير
144	٣ التشويق ع التبويب
۱۷۸	المبحث الثالث : أسماء السور وتقسيمها
۱۷۸	١ - أسماء السوار
174	٢ – تقسيم السور
14.	٣ – عدد سور القرآن وآياته وأغروفه
114	القصل السابع: شكل القرآن واغتجامه
140	المبحث الأول: معنى الشكل والاعجام
741	المبحث الثاني: تاريخ شكل القرآن واعجامه
127	المبحث الثالث: الآراء في شكل القرآن واعجامه
191	المصادر والمراجع
147	ثبت الكتاب